



كل الأشياء تعمل معاً للخير
يأتى فى الهزيع الأخير

بقلم دياكون
د. ميخائيل مكسى اسكندر

مكتبة المحبة

مكتبة المحبة

موضوعان هامان لكل إنسان:

كل الأشياء تعمل معاً للخير للذين يُحبّون الله

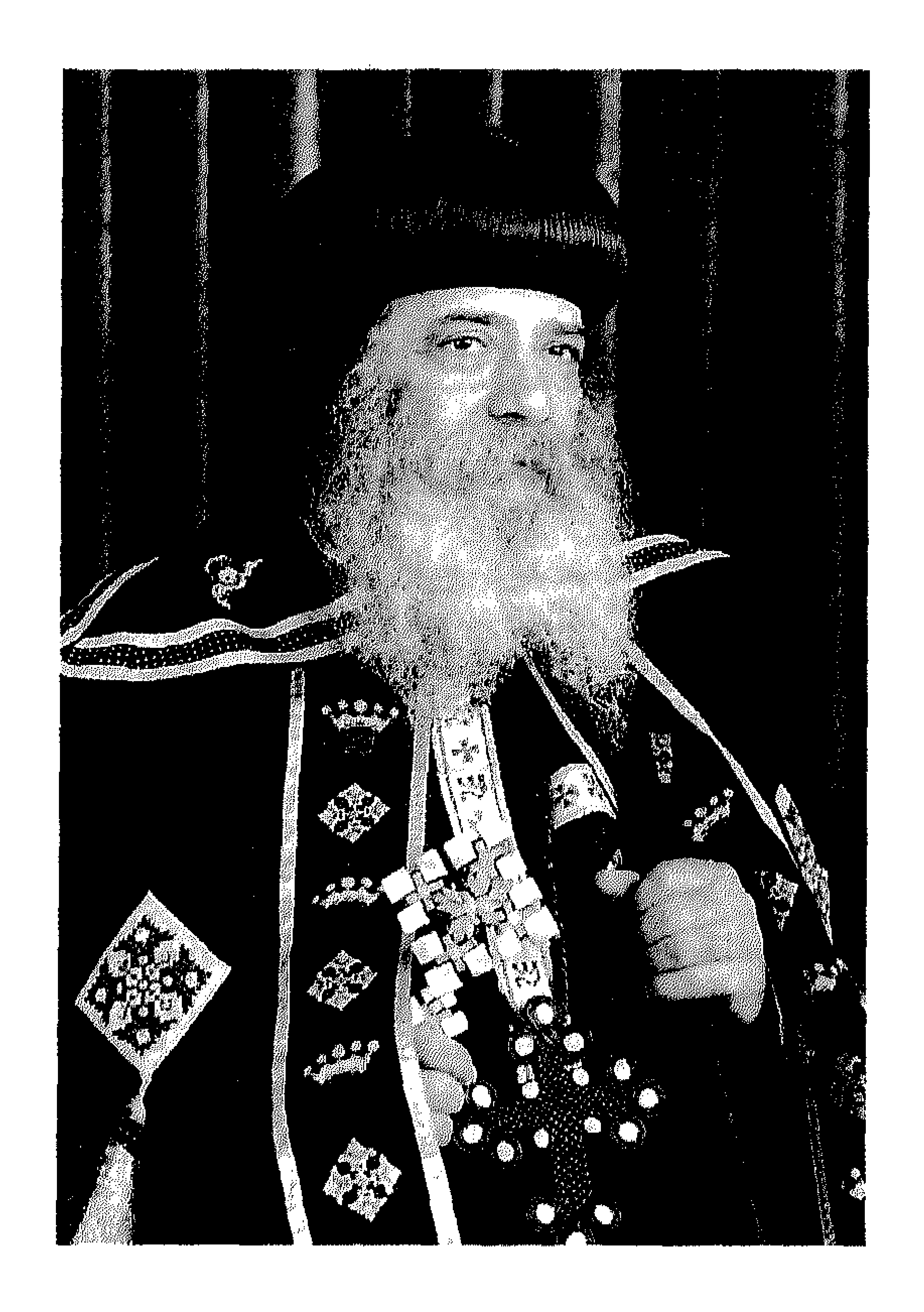
ويأتي في الهزيع الأخير

(دراسة لماذا لا يستجيب لنا الرب سريعاً)

طبع بشركة تريكرومى للطباعة
ت٥٩٠٢٠٤٨ – فاكس ٥٨٩٦٦٥٥

رقم الإيداع بدار الكتب ١٦٠٠١ / ١٩٩٨

I.S.B.N. 977 - 12 - 0373 - 8 الترقيم الدولى



قداسة البابا شنودة الثالث

بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية

«كل الأشياء تَعمل معاً للخير للذين يُحبون الله»

مقدمـــة:

من الحقائق إلتي تؤكدِها المسيحية، أن الحياة مليئة بالمحاعب، والمُفاجآت والعَقبات، **إلا أن** معونة الرب أكبر، إذ نجد أيضاً أن – حُب الله - «للناس» بلا حدود، وبلا مِقياس، وبلا نهاية، فمهما ضَعف الإنسان أو عثر، أو سَقط: «مَحبة أبديَّة أحببتكِ، لذلك أدَمت لكِ الرحمـــة» (إر ٣١:٣). وقد تمثَّل هذا الحُب العجيب، فى شخص الحبيب، على عود الصليب، وتجلَّى هذا الحُب العَملى فى رحمته للخُطاة، وفدائه للبَشرية من الخطية الجدّية: «ليس حُب أعُظم من هذا أن يبذل أحد نفسَه عن أحبائه» (يو ١٠:١١) «هكذا أحب الله العالم، حتى بذل إبنه الوحيد، لكى لا يَهلك كل من يؤمن به، بل تكون له الحياة الأبدية» (يو ٣:١٦).

ويؤكد الكِتاب، أن الله – كأب مُحب – «لا يُجرب أولاده

بالشرور» (يع ١:١٣). ولكن يسمَح لهم بصيَغ مُختلفة من الآلام، ومعها سلام – لإمتحان الإيمان – وقد تأخذ شكل تأخير فى الإستجابة للطلب أحياناً، أو عدم الإستجابة أحياناً أخرى لهدف روحى سَام، كأبٍ حَنون يعرِف الصالح لنا فعلاً.

ومن ثم يسمَح الرب لأولاده، ببعض التجارب الشديدة أو الظروف الصَعبة، لأهداف روحية نافعة لخلاص النَفس، حينما لا تفلَح الكلمات اللّينة، أو القرعات الخفيفة. وليس الهَدف منها الإنتقام – أو العقاب – كما يظن البعض خطأ، بل محبَته الشديدة تدفَعه إلى أن يؤدِب الإنسان، لتهذيب النَفس، ورجوعها من شرَها (الذى ليس من طبيعتها)، فينصلَح حالها، لاسيَّما عندما تتهرَّب من مُخلِّصها الصالح، وترفض سلوك طريق التوبة بطاعة ووداعة، فتبدأ العناية الإلهية تتبُع تلك النفس، وتستخدم العِقاب والإرشادات الروحية، من الآباء الروحيين والجسدانيين، وهو بالطبع لخيرها وسعادتها، كما سنرَى فى الأمثلة الكتابية – والواقعية – التى ستأتى فى سِياق الحديث!

ومن المؤسف أن نرى ونسمع عن بعض المسيحيين الذين لا يفَهمون الهَدف النبيل، الذى يقْصده الرب، حينما يسمح لأبناء المعمودية، بتجارب متتالية، أو عقبات مُتكَررة، قد تقف فى سبيل تحقيق آمالهم، أو تُعيق تحقيقها فى وقت قريب. وعلى ذلك تَراهم يشعرون بالضيق والتذّمر والتَبرّم من الحياة، والحُزن واليأس... الخ. وهو ما يُترجَم فى كلماتِهم التى يُعبِرّن فيها عن تَخَلّي العناية الالَهية عنهم. أو القسوة فى مُعاملِتهم، وعدم استحقاقِهم لهذه الضيقات، بينما يَترُك الله الأشرار يَنعَمون بالراحة والسعادة (راجع أيوب ٢١: ٧ - ١٥، مز ٧٣ كله). وهى بلا شك مَفاهيم غير سليمة تَضُر بالشخص نَفسياً وجَسدياً وروحياً. والذين يعتنقُونها كثيرون، لذلك نرى ونسمع عن الملايين الذين يعيشون فى شقَاء فوق هذا الكوكب الحزين!

بينما نَرى طغَمات القدّيسين، والآباء المُباركين، وقد فهمّوا الهَدف الآلهى منها: «التجارب أبواب للموَاهب» (ماراسحق)، فشعَروا بمزيد من الفَرح الروحى، حينما كانت تأتيهم التجارب

من الأشـرار، ومن عـدو الخـيـر - بسـمـاح من اللّه - من أجل أمـانَتـهم، وبسـبب تَمـسُّكهم بإيمـانهم، ولسـان حـالِهم يقـول مع الرسول: «إفرَحُوا يا إخوتى حينما تَقعُون فى تجارَب متنوِّعة» (يع ١:٢).وقد أدركوا بحكمة عالية أن: «آلام الزمان الحاضر لا تُقاس بالمجَد العَتيد أن يُستَعلن فينا» (رو ٨:١٨)، «وإن كُنا نتألم معه، لكى نتَمَجد أيضاً معه» (رو ٨:١٧) «وأنه بضيقات كثيرة ينبغى أن ندخل ملكوت السَموات» (أع ١٤:٢٢).

وقد نظروا إلى الضيقات - من أجل الله - على أنها «بَركات» عظيمة (فى ١:٢٩) فسعَوا إلى البحث عن الوُلاة والحُكام الأكثر تشدداً، وأعلنوا إيمـانهم أمـامِهم، وقـد نـالتـهم الآلام المُتنوعـة، والعـذابات الشـديدة، فى سلسلةٍ طويلة، كـانت تزداد مع الأيام والسنين، وأخـيـراً وُضِع لهم إكليل البِرّ، الذى يهـبُه اللّه للذين يُحبُّونه (٢ تى ٤:٨).

وقـد تمَادى بعضـهم فى حُب اللّه، حتى أنهم اعـتبـروا الأيام التى تَمر بلا متاعب ولا تجارب - من أجله - على أنها لا تُحتَسب

ن عمرِهم الروحى، وأن قلة مُحاربات الشياطين لهم تُعتبر فى نظرهم دليلاً على رضا عدو الخير عنهم وعدمْ جهادهم فى طريق الملكوت الضيّق، عملاً بقول الأنبا بولا: «مَنْ هَرب من الضيقة فقد هَرب من اللّه»! لأنه طريق كَرب وصَعب، وفى النهاية واسع ورَحب.

وقليلون هم الذين يحملون صليب الرب - بفرح وحُب - لما أعطاهم اللّه من حكمة ونِعمة، وفهم روحى سليم، لمتاعب الدُنيا الفانية، لذا تراهم يَعتبرون الألم من أجل المسيح خير ورحمة وبَركة كُبرى، فيسعون وراءه، ولا يهربون من مصادِره، فينيّر الروح القُدس حياتهم، ويُضيئون كالكَواكب فى ملكوت أبيهم. ولابُد للمصباح الكهربى من تيار «سالب ومُوجب»، حتى يُضىء. هكذا المؤمن أيضاً، يلزم له كِلا الأسلوبين (السَلبيَات والإيجابيَات) فى طريق حياته، وأن يتألّم ويَشكُر، ويُعانى ويفرح بالرب، ويسلُك الطريق المُتعب ليجد الراحة الدائمة.

وقد ورَد فى سيرة القديس العظيم «مكاريوس الكبير» (أبو مقار) أنه سمع صوت الرب ذات مرة يُخبره بأن بالأسكندرية

إمرأة فاقته فى الروحانية، وحُب الله، فاشتهى رجل الله أن يراها، ويستمع الى اختبارها مع الله. فلما توجه القديس إلى الكنيسة المَرقسية بعد القُدّاس، حتى يظفر بلقاء تلك السيدة، التى طوّبها الله، ولكنها لم تأت!

ومن بعيد، لَمح إمرأة تبكى، بدموع غزيرة، واستنتَج أنها فى ضيقة شديدة وأنها تطلب من الرب إنقاذها منها! فاقترب أبو مقار منها وسألها عن حالها، وعن سبب بُكائها بشدة! فلم تَذكُر له سَبباً!! فسألها عن ظروفها الاجتماعية، فأجابته بأنها فى راحة تامة من كافة النواحى، ولكن ماذا يُضيرَها إذن؟!

فأجابته بأن الرب لم يَسمح لها بتجربة، طوال الأسبوع المُنصرِم، وهل رَضَى عنها الشيطان فلم يَعد يُجربها؟! ولهذا فهى تتضرّع الى الله حتى لا يَحرمها من تلك «البَركة» التى سمَح بها لكل القديسين! وحينئذ فقط، عَرف القديس سر عَظمة تلك المرأة، ومدى فهمها السَليم لآلام الحياة، ولاسيما من أجل الله! وطوبى لمن له هذا الفَهم الروحى العظيم!

يتسائل البعض:
هل كل الأشياء تعمل معاً للخير، في كل وقت؟!
ولمَنْ من الناس بالذات؟!

عندما نتأمل معاً، في الآية المُباركة، التي ورَدت في العدد الثامن والعشرين من الإصحاح الثامن، من رسالة الرسول بولس إلى كنيسة الله في «رومية» في معَرض حديث الرسول عن الضيقَات والإضطهادات، التي عَاني منها المؤمنون الأوائل، من أجل المسيح، نجدُه يُواصل حديثه عن الآلام مؤكداً: **«نحن نعلم أن كل الأشياء تعمل معاً للخير. للذين يُحبّون الله. الذين هُم مدعوّون حسب قصده»** (رو ٨:٢٨).

+ وللإجابة على السؤال السابق، دعنا ندَقق في كل كلمة من هذه الآية كما يلي:

أ) – **نحن نعلم** فالرسول مُتأكد تماماً. ومن اختباراته السابقة.

ب) ان كل الاشياء :وليس بعضاً منها وفى وقت دون آخر،

جـ) تعمل معاالخير: فهى فى ترتيبها، الذى أراده اللّه، لابد أن تؤدى إلى إلى خير فعلاً.

د) للذين يحبّون الله: فهو شرط مُهم، وبذلك تكون التجربة خيراً للمؤمن، لأنها من أجل اللّه، وليس من أجل شر الشرير، أو بسبب عدم أمانته.

هـ) الذين هم مدّعون حسب قصده: أى للمسيحيين المؤمنين، الذين دُعُوا حَسب قصد اللّه الصالح، لنوال الخلاص، والحياة الأبدية.

وعلى ذلك، فكل أمور المؤمن - بحلّوها ومُرّها - لابُد أن تُؤُول لصالحِه فعلاً، (وليس لصالح الشرير). ومهما كانت البداية صَعبة، والمُعوقات كثيرة، والطريق كله أشوَاك، وانحدار، وجوع وعطش، أو صعود، وقسوة ومرار، لفترات طويلة، بلا بِارقَة أمل، فى الوصول إلى حل سريع! لكن بالإيمان يصبَر الإنسان. وينتظر تدَّخل اللّه -

في وقت مناسب لصالحه – في قضاياه، بعدما عَاناه من آلام الإضطهاد، والظُلم، من الأشرار العُتاة، وتُعلِّمنا الحياة أن «العَبرة دائماً بالنهاية» ويقولون في الأمثال العَامة، «من يضحك أخيراً، يضحك كثيراً».

ومن ناحية أخرى، تُشير الآية المُقدَسة، الى عناية الله الأكيدة، بأولاده الذين يُحبونه، ويفهمون القَصد من التأخير في الإستجابة ولا غَرابة في ذلك، فالله في عُمق محبته للبَشر، قدَّم لهم أعظم شيء في الوُجود، وهو الخلاص الأكيد: «فإن كان الله، لم يُشفق على إبنه، بل بذَله لأجلنا أجمعين، فكيف لا يهبنا معه كل شيء»؟! (رو ٨:٣٢).

إذن ، ثق يا صديقي المُؤمن، أن كل الأشياء تَعمل معاً للخير، مهما بَدت في ظاهرها عكس المُراد، ومهما تعددُت المتاعب والمصائب، فهي كلها تؤول لخيركَ فعلاً، المَرض، الفَقر، والحاجة المادية، الخسارة المالية، عدم التَمكُّن من الحصول على شهادة مُعينة، أو على منصب أو شريك مُعيَّن، أو مكسب مَعيَّن. ونقول لك

بصراحة إنه حتى الموت هو «خير»، نعم! **خير كل الخير**، لأنه تَرقية للمؤمن فى عالم الأمجاد، وراحة له بعد طول جهاد!

ولتثق يا عزيزى، أن الرَب يُحبك جداً، وأنه يُحرك الأمواج ويُسكتها ليظهر الرُبان الماهِر. ويسمَح بالحرب لكى ينال الجَندى أكاليل الغَلبة، ويُشعِل عود البخَور، لتظهر رائحته الجميلة. وهو يسمَح بالتجربة، ويضع معها «المنفذ» (١ كو ١٠:١٣) **«فالتجارِب أعظم مُعلم»**، ولهذا قال إرميا النبى المُختبر: «جيد للرَجل أن يحمل النيَر، منذ صبَاه» (مراثى ٣:٢٧). وعلى هذا الأيمان السليم، تسير فى اطمئنَان: «بحياة التسليم»، لأن الرَب معنا فى السفينة، فى بحر هذا العالم، المُتلاطم الأمواج، مهما كانت تلك الأمواج عالية، والعواصف عاتية، فلابُد أن يتدخَّل الرب، فى الوقت المناسب، ويضع حَداً لكل هذه المتاعب، ويخرِّج منها المؤمن باختبارات روحية جميلة.

ولسان حالِه يقول: «إنما خَيرٌ ورحمة يُدركانى كل أيام حياتى» (مز ٢٣:٦) «فلا تُفكْر ولها مُدَبِّر» كما يقولون !

وقد سُئلَت طفلة صغيرة، عن سبب عدم خوفها والسفينة تهتَّز بشدة، في هذا البحر الهائج؟! فقالت ببساطة الإيمان أنها تعلَم جيداً، أن والدَها هو القائد، وهو ماهر في قيادته، وقد اختبرته في ظروف صعبة كثيرة!

والرب هو الربَّان، الذى لا تغرَق سفينَته أبداً، مهما هاج البحر، وكثُرتَ وحوشه!

فهل اختبرّت الرب، في وقت الخَطر؟! وهل تَمسكّت به، وبحبّه، في وسط التجربّة؟!! - بالتأكيد تعرفَه، فهو الراعي الصالح، وهو مُدبّر الكَون، وهو «ضابط الكُل». كل شيء يَسير تماماً، وفق إرادته الصالحة: «لا تسقط شَعرة واحدة من رؤوسنا، إلا بإذنه» (١ صم ١٤، لو ٢١:١٨) «يأتى والأبواب مُغلقة، ويُحوّل الحزن الى فرح» (يو ٢٠:٢٠)! يوجّه سهام الأشرار إلى صدُورهم، ويُغيّر أهدافهم الشريرة، إلى خَير أولاده، وصالحهم فعلاً، وها هي الأدلة العَملية - والنقليّة - الكثيرة، للتأكيد على صحة ما يقوله الرسول: «كل الأشياء تَعمل معاً للخير، للذين يُحبّون الله» (رو ٢٨:٨)

تعالَ معي لنتأكد من هذه الحقيقة الكِتابية، والتعاليم الألهية العظيمة.

الفصل الأول

★ أمثلة من الكتاب المقدس★

أولاً: في العهد القديم:

١) فى قصة «يوسف الصديق»: نرى التطبيقَ العَملى على أن كل الأشياء تعمَل معاً للخير، للذين يُحبُّون الله.

فقد أطاع الشاب الطاهر «يوسف» البار، والدَه يعقوب وذَهب بمحبة عَملية، لكى يُفتّش عن إخوته من مكان إلى آخر، فلما رأوه من بعيد تآمروا عليه، دون ذَنب منه!

وجَرت له أحداث مؤلمة، زادت فى متاعبها، بمرور الأيام، فى سلسلة طويلة من المآسى، دون أن يَفعل شَراً، وكان الظاهر أنها كلها ضده: إلقاؤه فى البئر، بَيعه عَبداً، فى أرض غريبة، ولغَة غَريبة، عَمله كخادم فى منزل، وكان يعيش فى نعُومة، فى بيت أبيه، ثم استخدم إبليس سهام المرأة الشريرة، فى مُحاولة لإفساد

عفته. وعندما نَجا من فَخها، أُلقىَ فى السجن - وهو مظلوم - سنوات وسنوات، إلى أن رتَّب اللَّه كل ما عَوضَّه عن سببه خيراً.

فصار تالياً لفرعَون، ومُساعداً لبنى إسرائيل، والمُلفت للنَظر، أنه قد نجَح فى تخطَّى كل هذه العقبات - الواحدة تلُو الأخُرى - **ولم يتعقد منها**، بل خَرج منها باختبارات أفادته، فى حياته العَمليـة. ولو كُنت مكَانه، هل كُنت تُصدّق أن كل هذه المتَاعب المُتزايدة، ستؤول - يوماً ما - إلى خيرِه، وخير أسرته، وخير بنى إسرائيل جميعاً؟!

لقد كان يوسف مؤمناً باللّه، واثقاً بأنه فى يده - فى كل مكان وزمان - وقادَه هذا الإيمان السليم إلى السلام، وإلى حياة التسليم الكامل لمشيئة اللّه الصالحة، التى تتم فى حينها الحَسن. وقد شهَد بتدبير العناية الآلهية، التى حَولت كل متاعبه إلى خيره، وأعلن تلك الحقيقة، فى تصريحه لخوته الذين ظلمُوه، ولم يقتص منهم، أو يكَرهم، (كما يفعل الأشرار عَادة) بل قال لهم، بمحبة حقيقية، وصراحة مُتناهية: «أنتم قصدتُم بى شراً، **اما الله فقصد به خيراً**» (تك ٥٠: ٢٠).

ليتنا نتعلم من يوسف كيف نأخذ درساً من متاعب الأعداء «ومن مقالب الأشرار»، ونثق أن الله لابد أن يحولها إلى خير، فهى مُتعِبة ظاهرياً، ولكن ما يَخفيه الله من بَركات منها، لابد أن يُظهره فى الوقت الذى يختاره الله، وما علينا إلا الصبر والشكر وعدم التذمر (وعدم التعقُّد من المشاكِل الوقتية).

٢) - **وفى قصة يوسف أيضاً:** نقرأ عن موقف أبيه يعقوب من فَقد أولاده الثلاثة، وموقف الله من تلك الضيقة الظاهرية! فقد حَزن يعقوب، وقال لأبنائه: «أعدمتمونى الأولاد، يوسف مَفقود (مَشكلة الماضى) وشمعون مَفقود (مُشكلة الحاضر)، وبنيامين تأخذونَه (مشكلة المُستقبل)!!» (تك ٤٢ : ٣٦) وفى نفس الوقت، كان الثلاثة **فى مكان أمين:** كان الظاهر أمام الرَجل خِسارة أولاده، بينما كان الهدف خيراً جزيلاً، كما رأينا من توالي سِير الأحداث، فى قصة لقاء يوسف بإخوته!

٣) - **وفى قصة ميلاد وحياة موسى:** تدليل على صِحة ما نقول! فمَن كان يَظن أن طفلاً يُلقَى فى نهر النيل، يتربّى فى بيت عدوّه،

ويصير بهذه العظمة والسلطان، ويقود شعب الله، عَبْر البحر الأحمر، (بعد عمل معجزات باهرة في مصر). إلى أرض سيناء حيث عمل الله على يديه كثير من الآيات، وباركهم بالشريعة والتعاليم العظيمة.

٤) - **وفي قصة هروب يونان النبي:** (من خدمة شعب نينوى) نرى كيف يُحوّل الله الشرّ الى خير، وبدلاً من أن يهلك يونان فى البحر، يحفظه الحوت، كغواصة آمنه. ويكسب أهل السفينة إلى الرب، بعدما يُعلمه الله درساً لا يُنسى فى ضيقة شديدة، وصلاة وصوم، فى جوف الحوت الضخم، ليعود إلى خدمته، بأوفر نشاط!

٥) - **وفى قصة دانيال. واصحابه المؤمنين:** نرى أن كل شيء كان "ماشى تمام". كما يُقال فى هذه الحال، فقد تمسكوا بالرب وعبادته وحبه، وسط جمهور كبير شرير، أراد - بإيعاز من عدو الخير - أن يزج بهم فى أتون النار، «المحمى سبعة أضعاف». فتقدموا دون جزع أو خوف، وتمجد الله فيهم، وعظم الصنيع

معهم، ونزل المسيح معهم وسط النيران وحولها الى برد وسلام، ولم تكن سوى وسيلة مُفيدة لحَرق القيود، التى كانت تُقيد أيدى الشبّان الأطهار، ثم رفعهم الله إلى أعظم مَنزلة فى مملكة بابل!

ونفس الشىء إتبّعه الله مع فتاه «دانيال» فسمَح له بأن يُلقىَ فى جُب الأسود، وهو مَظلوم، فترك الأمر لله. فأرسل له الرب ملاكَهَ، وسدّ أفواه الأسود الجائعة، فلم تُضره، ونال منصباً رَفيعاً فى الدَولة، وظهرت عَظمة الله، أمام ملايين الوثنيين!

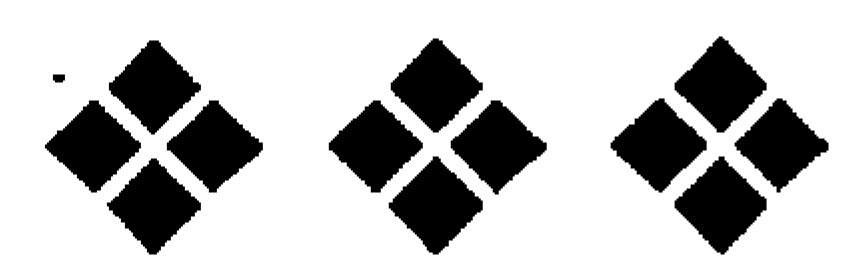
وبعبارة أخرى، فإن الله لا يمنع الألم «عن أولاده المباركين» (كما حدث مع أم النور، ومع الرُسل، والشهداء، والمُعترفين، والنُسّاك) لكثرة بركاته. ووفرة اختباراته، وعِظَم مُجازاته، وتعزياته. وكلما نمّت النفس فى النعمة، والقامة الروحية - - كلما أصبحت أهلاً لإمتحان أصعب، ولجزاء أعظم «إكليل الملكوت السعيد»!يُخَرجُه صافياً لامعاً، وتنفصل عنه الشوائب والأتربة. وبهذا يظهر القَصد من دخوله النار! وقال المُخلّص: «كل غُصن فىّ يأتى بثمر يُنقّيه (يَقطع أطرافه) ليأتى بثمر أكثر» (يو ١٥:٢).

٦) وفى قصة «إستير الملكة» وقريبها المؤمن «مردخاى»:
والوزير الشرير «هامان»، نرى خيوط المؤامرة الشيطانية، تُدَبر ضد شعب الله تدريجياً، وفى أحداث سريعة مُتلاحقة. وتزداد الضيقة شدّة وحِدّة، حتى تصل إلى القمة. وتزداد الصلاة والصوم، فيؤرّق الرب الملك، ويضجّ مضجَعه، ويهرب منه النُعاس، فيقرأ عن مَعروف مردخاى معه، ويُقرر مكافأته، فى الوقت الذى أعد فيه هامان «صليبا» ليصلُبه عليه، فتنكشف مؤامرته الدنيئة، ويتم صلبه على نَفس صليبه «ومن حَفر لأخيه حُفرة وقع فيها» (أم ٢٨: ١٠).

ولابُد أن يُجازى الرَب كل واحد حَسب نيته الصالحة، أو الطالِحة (٢ كو ٩: ٧) ولابُد أن يتحقق قَول الرب إن: «الصديق ينجو من الضيق، ويأتى الشرير مكانه» (أم ١١: ٨)، وقوله أيضاً: «إن أرضَت الرب طرق إنسان جَعَل أعداءه يُسالمونه» (أم ١٦: ٧).

٧) كما يُسجل الكتاب المقدس، أن التدبير الإلهى العَجيب، قد سمَح بأن

يتولى الفتى «داود» أكبر منصب: وهو .... «عـرش مملكة اســرائيل».
ولكن بعدمَا جازَ فى الضيقات التى سببْها له المَلك شاول، الذى رفضَه الرب لشره، وعدم طاعته لله ومُخالفته لوصَاياه. وقد تبوأ داود كُرسى المُلك بعد ما مات خَصمه اللدود «شاول» بعد ٣٩ سنة من المُعاناة، والألم الشديد بسببه، والحقيقة أن آلام داود ومتاعبه الكثيرة أصبحت سبب بَركة لكثيرين، إذ تَرك للعالم مجموعة عظيمة من «المَزامير» التى يتعزّى بها الملايين ويستفيدون بها فى صلواتهم وتأملاتهم، على مر السنين.



ثانياً: أمثلة من العَهد الجديد:

نقرأ فى الأناجيل، وأعمال الرُسل، عن نماذج جميلة وكثيرة ومتنوعة، **للتدليل على أن كل الأشياء تعمل معاً للخير للذين يُحبّون الله، من كل قلوبهم، ومن تلك الحقائق:**

١) فى مرات عديدة، ذكرَت الأناجيل الأربعة، أن التلاميذ قد

فوجئوا ببحر هائج، وهم فى وسَط المياه! وكان الرب يسوع يتأخر في المجيء إليهم، أو يتظاهر بنوم عميق وهو معهم فى السفينة! وكان الرب يُلقِّنهم دروساً روحية نافعة، من تلك الضيقات المُؤَقتة، رغم تذمرهم أحياناً – لعدم فهمهم الهدف المقدس منها ـ وعتابهم له: «أما يُهمك أمرنَا؟! أما تُبالي أننا نَهلك؟!

وكثيرا ما تَكلمَّنا نحن أيضاً – بكلمات مُماثلة – ثم إكتشفنا أن ما حدَث لنا كان بتدبير العناية الإلهيَّة، **وإنه كان فى مصلحتنا فعلاً،** فحمدنَّاً اللَّه على حُسن صَنيعه معنا، وقد قال الرب لبطرس، «**لستَ تعلَم انت الآن ما انا اصنع. ولكنك ستفهم فيما بعد**» (يو ١٣: ٧). ونفس الشيء يوضحه الرب لنا باستمرار.

٢) فقد طلَبت مريم ومرثا، من الرب يسوع أن يأتى ليشفى حبيبَه لعازر المريض! فلم يذهب المُخلِّص إلا بعد ما مات، وأنتن في القبر، ثم أقامه بمُعجزة باهرة!

وكان تأخره عن الاستجابة، لهدف روحى عظيم، إذ كان الرب يُريد أن يُقوِّى إيمان التلاميذ، ويُثبِّت لهم قدرة لاهوته، وهو

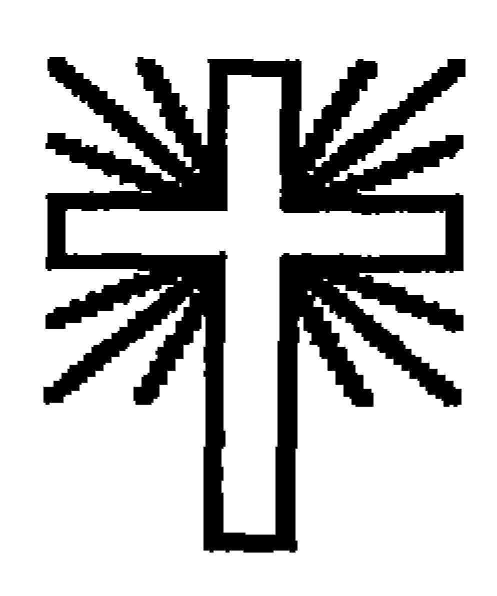
يَذهب – فى اتضاع – نحو طريق الآلام، حاملاً صليب العار، من أجل خلاص جنس البشر. كما أن إقامة ميت، بعد أربعة أيام من موته، أعظم تأثيراً من شفاء مريض، مهما كان هذا المرض.

٣) حتى مؤامرة رؤساء الكَهنة اليهود، وخيانَة يهوذا بتسليم المسيح لهم، وتقديمه لمحاكمة ظَالمة – وغير قانونية – وضربه وتعذيبه، بدون سبب، ثم صلبه على الصليب، قد حولّها الرَب كلها إلى خير العالم كله، إذ تمّ عن طريقها خَلاص البشرية، من الخطية الجدِّية، وفتح الفردوس، الذى أُغلقَ بعد سقوط آدم وذُريتَه، واستحقاق المؤمنين بالمسيح، «الملَكوت السَعيد» المُعدّ لهم، منذ تأسيس العالم!

٤) ويَذكر سِفر الأعمال، أنه بعد استشهاد القديس إسطفانوس. «حَدَث اضطهاد عظيم على الكنيسة، التى فى أورشليم، **فتشتت الجميع**... والذين تشَتّتوا جَالوا مُبشرين بالكَلمة» (أع ٨: ١ ـ ٤). وهكذا حولّ اللّه الشَر إلى خير، وإلى إمتداد ملكوته، فى العالم كله، وقَبِل الوثنيون الإيمان المسيحى لأول مرة!

٥) والقديس «بولس» الذى رجمَه اليهود المُتعصبون، لم يَمت، ولكنه «رأى ما لم تره عين وما لم تسمع به أذن، وما لم يَخطر على قَلب بَشر» (١ كو ٢:٩) وكذلك القديس «يوحنا» الرسول، الذى نفاه الإمبراطور الرومانى، دومتيان، إلى جزيرة بَطمس - قد رأى ما لم يرَه أحد غيره، مما سيحدُث للعالم، فيما بعد (رؤ ١:٩)!

٦) كما أن الروح القُدس قد أرشد الرسول بولس، إلى طلب مُحاكمته «فى روما» لتكون مَركزاً للإشعاع المسيحى فى العالم الرُومانى كله. وقد كان سِجنه هناك" بَركة كُبرى» فقد خدَم المسيح، من خلاله، وكَتبَ بعض رسائله العظيمة، خلال فترة حَبسه. كما أنه استفاد من شَوكة الجَسد (= المرض)، فى تعلُّم الإتضاع (٢ كو ١٢:٧)، والشعور بالمَسكَنة الروحية، وعَدم الإفتخار «إلا بصَليب الرب يسوع» كما كسب نفوساً فى السجن.



ثالثاً: أمثلة من التاريخ المقدس:

كم من تجارب واضطهادات وحوادث، تعرّضت لها الكنيسة، فى كل مكان - فى العالم - وقد حولّها الله «كلها» الى خير الكنيسة، والى تماسك أبنائها، ونموّهم فى النعمة، وفى حياة الصلاة، والحب، والارتباط الأشد بالرّب. وخرج منها القديسون باختبارات روحية عميقة، سجلها التاريخ المُقدّس، لمنفعة المؤمنين، فى كل زمان ومكان، وقد كانت هناك حوادث مُعينَة قادَت إلى بَركَات للخُدّام والشعب والخدمة، كما يلى: -

١ - مَجئ القديس مُرقس الرسول - إلى الاسكندرية - لأول مرة، فى مُنتصف القرن الأول، وكيف أنه جَال طول النهار، فى شوارعها الواسعة والكثيرة، لعله يظفر بأحد يتكلم معه عن المسيح، إلى أن انقطعت سيور حذائه، وبهذه الحادثة البسيطة، دخَل الإيمان إلى قلب أول إنسان، فى القُطر المَصرى!!

فقد تَوجّه الرسول إلى الإسكافى «أنيانوس» لإصلاح حذائه. ودَخل «المِخراز» فى يده، فصرخ من الألم، عندما اندفع الدَم من

أصبعه قائلاً: «يا اللّه الواحد»! فشكر رجل اللّه، تدبير الرّب، وأمسك بأول الخيط، وصلّى للإسكافى، فبرأت يَده، بمُعجزة ظاهرة!! وكانت تلك فرصة عظيمة، لكى يتحدّث الرسول معه عن المسيحية، وعن الرب، والخَلاص الذى أتمهُ على الصليب، وأخذه الرجل الى بيته. وهكذا بدأت المسيحية، من بيت هذا الرجل المتواضع، الذى أصبح أول أسقف للقُطر المصرى، بعد الرسول «مرقس»، وصار بيته أول كنيسة فى مصر!

٢ - وكُلنا يَذكر المُؤامَرة التى دبّرها الوزير اليهودى المُتعصب «يعقوب بن كِلّس» ضد الشعب القبطى فى القرن العاشر الميلادى، وكيف صام الشعب القبطى وصلى بحرارة - مع البابا إبرآم بن زرعة - حتى تم فى عهدِه نَقل جبل المقطم، على يد سمعان الخرّاز «الدّباغ». وهكذا حوّل اللّه الشر إلى خَير. وظهَرت عَظمة الإيمان المسيحى، وصحَة الكتاب المُقدس، وفعّالية الإتكال على اللّه، وضرورة اللجوء إليه، فى وقت الضيق، حَسب وعده الصادق «أُدعَنى فى يوم الضيق، أنقذَك فتُمجّدنى» (مز ٥٠:١٥) وفاعلية الصَوم والصلاة، فى تحقيق المُحال، واستجابة الرَب السريعة للطلبات والآمال.

+ + +

الفصل الثانى

أمثلة من الحياة الواقعية

مقدمـــــة:

فى الحياة الدُّنيا، كثيراً ما تأتى الرِياح بما لا تشتهى السُفُن، وتتوالى الكَوارث والمِحن، ويصرُخ الإنسان إلى اللّٰه ولكنه تعالى يُوخر الإستجابة، فلا يُحقق للمرء الطلَب فى حينه! بل يقف - أحياناً - ضد رَغبة الإنسان، وقد يجد المَرء عَقبات، فى سبيل إنجاز مصلحة ما، أو عند الحصول على عمل ما، أو للزواج بشخصية مُعيَّنة، أو عدم اللحاق بوسائل النقل العام، ورجوع الانسان «صفر اليَدين» صارخاً: «ربنا سَدَّها فى وجهى»، «هذا اليوم نَحْس، مِن أوله»، «يا مستعجل عَطلَّك اللّٰه»! .... الخ.

ولكن المؤمن الحقيقى يُدرك جيداً **أن الله يُحبه كثيراً**، وأنه تعالى قد اتخذ قرارات مُعينَّة تؤوُل كلها لخيره، حينما تظهر نتائجها، فيما بعد.

وسنذكر فيما يلى أمثلة متنوعة، تُدل بكل تأكيد، على أن كل الأشياء تَعمل للخَير للذين يُحبُّون اللّٰه، **المدعون حسب قصده**،

السـامي عن الإدراك البَشـرى .

وهـو يقول : «لأن أفكارى ليـست أفكاركم ولا طرقكم طُرقي – يقـول الرب، لأنه كمـا علت السموات عن الأرض، هكذا علت طُرقى عن طرقكم، وأفكارى عن أفكاركم» (أش ٥٥: ٨ ـ ٩)، «يا لعُمق غنى الله، وحكمته وعلمـه، ما أبعد أحكامُه عن الفحص، وطُرقِه عن الإستقصاء.... لأن منه وبه وله كل الأشياء» (رو ١١: ٣٣ – ٣٥). **فلنُسلم له امورنا، بكل ثقة، وإيمان**، ليختَّار منها الصالح، لأنه يُحبَنا من أعماق قلبه ويُريد مصلحتنا، ويَعرف حاضرنا ومستقبلنا، وبيده كل أمورنا. إذ أنه لا تسقط شَعرة واحدة من رؤوسنا، إلا بإذنه» (راجع: ١ صم ١٤:٤٥، ٢ صم ١٤:١١، لو ٢١:١٨، أع ٢٧:٣٤).

وإن كنا لا نَعرف المُستقبل، لكننا – بالإيمان – نَعرف جيداً، مَن بيده المُستقبل، وإرادته صالحة دائماً لأولاده.

قصص واقِعية... حدثت فِعلاً

١) ذكَر أحد الفلاحين، أنه كان ذاهباً الى السَوق، ليبيع محصول حقله، وقد حملَه على حمارِه، وتقابَل مع إثنين من أهل

القرية، كانا يُسرعان بالذهاب إلى السوق قبله، ولم يفلح في اللحاق بهما، كما تبعثرت الخضروات على الأرض، وقضى وقتاً، في إعادتها إلى القفص! وكان في شدة الغيظ، من ضياع الوقت والجهد، وقد سبقه زميلاه! وسار في طريقه حزيناً، نادباً حظّه على تعطله، وتأخره عنهما، وبعدما قطع مسافة ما، وجد صديقيه اللذين سبقاه يرقدان على الأرض، في حالة إعياء شديد، وعرف أنهما تعرضا للصوص، الذين أخذوا ما معهما من مال وثمار، وضربوهما ضرباً مبرحاً.فحمد الله الذي رتّب أمر تعطيله، وكلما تذكر هذه الأمور، شكر الله كثيراً.

٢) في إحدى قرى الصعيد كان يخدم كاهن بسيط، كبير السن، وذات مرة ذهب لكي يُعزّي سيدة، مات طفلها. وذكر لها الآية المباركة: «كل الأشياء تعمل معاً للخير للذين يُحبون الله». فلم تقبل فكرة «إن الموت خير»، وغضبت من رجل الله! ومرّت عدة سنوات، وإنتقل زوج هذه السيدة من العالم. وتوجّه اليها الأب الكاهن وكرّر على مسامعها نفس الآية السابقة (رو ٨:٢٨)، فإزداد حنقها عليه، وأعطاها الشيطان فكرة جهنمية: «لماذا لا تنتقم منه، وتُخرس لسانه إلى الأبد؟!» وأطاعت الشريرة صوت عدو

الخير، ودفعت مَبلغاً من المال، إلى أحد مُعتادى الإجرَام، لكى يقتل خادم المذبح، قبل ذهابه إلى الكنيسة، صباح الأحد!!

وقبع المجرم أسفل الدار، لكى يقتل البار، وظل مُختفياً حتى انتصف النهار، ولم ينزل رجل الله، فعاد الشرير خائباً، وردّ المَبلغ. وأعلَم السيدة الشريرة أن الكاهن لم يذهب إلى بيت الله، فى ذلك اليوم بالذات، فقررَت أن تذهب بنفسها، لتستعلّم الأمر، وبكل رياء، سألت عن الخادم المبارك، فوجدته طريحاً على فراشه، إذ إنزلقت قدمه ولم يستطع أن يتحرّك، وحينئذ اعترفت بنيّتها الشريرة، وكشفَت له عن خطتها الفاشلة، وختمَت حديثها بترديد الآية المباركة: «نحن نَعلم أن كل الأشياء تعمل معاً للخير للذين يُحبّون الله». بعدما تأكدّت من صحة كلام الله!

٣ – وثمة قصة أخرى مشابهة، تؤكد هذه الحقيقية! وهى أن أحد المُبشرين – بين المُتوحشين – فى غابات إفريقيا، قد تآمروا عليه لكى يمُسِكوه ويذَبحوه، ويأكلوه، وهو لا يدرى ما سيجرى له، بعد قليل!

وقبلما يبدأ الأشرار خطتهم بالهجوم عليه، سقط على الأرض وأنكسرت ذراعه. فلما رؤوه هكذا انصرفوا عنه! إذ كانت عادتهم،

عدم الإعتداء على المُصابين، وأن الرب قد استخدم تلك الحادثة، لإنقاذه من موت مُحقَق!

٤) - ونفس القصة، حدَثت لأحد الوُعاظ الإنجليز (فى إنجلترا) عندما كانت الملكة الشريرة «مارى» تضطّهد رجال الله وتأمر بقتلهم!! وذات مرة حكَمت على خادم مشهور بالإعدام!! وقد رضَى بالموت من أجل المسيح، ولكنه كا يَود أن يترك الإكليل، من أجل أن يَخدم، ويَربح نفوساً أخرى للمسيح!! وجاءَت ساَعة تنفيذ الحُكم، وهو مُستسلم لإرادة الله.

وعندما سيق الى موضَع الشَنق، تعثَّر الحصان الذى كان يركبه، وسقَط من فوقه، وإنكسرت قدَمهَ. وطبقاً للقوانين التى كان مَعمولاً بها، فى ذلك العهد، كان لأبُد من علاجه أولاً، وانتظار شفائه، ثم إعدامه!

وهكذا أُودِعَ رجل الله المستشفى، ووُضعت قدمه فى الجبس، وبعد أشهر قليلة ماتت الملكة الشريرة، وتولىّ عرش إنجلترا ملك مُحب للمسيح، أصدر قراره بإعطاء الحرية لخُدام الكلمة، وأعاد المُبشر الى خدمته، حسب رغبته، بعدما حوَّل الله الشر الى خير وبركة، وقوة، لاختبار الإيمان، فى ساعة الأحزان!

٥) – منذ سنوات قليلة، دُعي المتنيَّح القُمص يوسف أسعد للسَفر للإسكندرية، لإلقاء مُحاضرة روحية. وقام مبكراً كعادته، للسَفر في الصباح الرطب. وفي محطة «باب الحديد» إلتقى بأحد رعيته، وجلسا يتحدثان معاً، وفجأة تذكر رجل الله موعد القطار، وبالسؤال فؤجي بأن القطار قد غادر المحطة منذ دقائق معدودة، وكبشر ألقى باللوم على مُحدثه، الذي أضاع فُرصة السَفر المُبكر، وكان عليه أن ينتظر – القطار التالي – بعد ساعتين! وجلسا يتحدثان لتقضية الوقت!

وإذا بهما يسمعان أصوات هَرج ومَرج، وبعض العاملين يهرولون ويَصرخون. ولما استعلم الأب الكاهن عما حدث! عرف أن قطار الاسكندرية، قد تعرَّض لحادث «عند قليوب» ومات كثيرون! فشكر الله على هذا التأخير، الذي نجاه من هذا الحادث الخطير!

وهكذا يُعطل الله أولاده، ليحميهم منْ خَطر مُحقق، رغم شكواهم «بعدم فَهم» وقولهم: «يا مستعجل عَطلك الله»! ولكن هدف الله من التعطيل» «واضح وصريح». فهو يعمل لصالح أولاده، مهما بدا لهم أولاً أن التأجيل ضد مَصالحهم، ثم يتضح هدَف الله النبيل، لأنه هو الذي وضع القانون السماوي: «كل

الأشياء تعمل معاً للخير للذين يُحبون اللّه» (رو ٨:٢٨).

٦) - وذكَر أحد الإخوة، أنه أحسَّ بصوت يهمس فى أذنه «لا تركب هذه السيارة، لأنها ستتحطم فى حادثة». وأسرع بالنزول منها، وأبلغ قائدها بما جاش فى صدره، فغضب منه، بسبب تشاؤمه، حسب ظنه!!

وركَّب الأخ المبارك السيارة التى تليها فى الدور، وبعد قَطع مسافة من الطريق شاهَد نفس السيارة، وهى مُحطمة، فى وسط الطريق، فشكر اللّه الذى هدَاه، إلى عدم ركوبها، وأن تدبير اللّه له، كان فى صالحه فعلاً، رغم أنه قد تأخر بَعض الوقت!

٧) - أعدَّ أخد الخُدَّام رسالة الدكتوراة، بعد سنوات من التعب والمُعاناة، وراجَعها المُشرف، وتم طبعها وتجليدها، تمهيداً لتحديد يوم للمُناقشة، وعندما طلب من عميد المعهد، تحديد موعد لمناقشة الرسالة، فوجئ برفضه بشدة وبدون سبب ولكنه لم يحزن، وسلَم أمره للّه!

ولما علم أحد الأساتذة، بما حدث من ظُلم لهذا الطالب، بعث إلي أصدقائه في أوربا، ودبَّر اللَّه مكاناً له، في إحدي المَعاهد المشهورة! وأعاد دراسة بحثه هناك، وأعد رسالة ممتازة، وقضي وقتاً سعيداً، وباركه الرب، لأنه خضَع للتدبير الإلهي، بلا تذمر، ولا عُقد، ولا حُزن،! «فلا تُفكر ولها مُدبر» كما يقولون دائماً.

٨) روَي المتنيح القمص بطرس جيد، أن أخيه الأكبر قد دعاه مع أخيه الثالث الأستاذ «نظير جيد» (قداسة البابا شنوده الثالث فيما بعد) ليذهبا معاً الي الإسكندرية، لقضاء فترة مع أخيهما هناك، في فترة الصَيف الحار!

وأستعد كلاهما للسفر، وارتديا حلّتين جديدتين ووضع كلاً منهما «طربوشاً» علي رأسيهما، كما كانت العادة، في ذلك الوقت، واستأجرا «حَنطوراً» ليحملهما بسرعة إلي محطة القطار السريع! ولكن الحصان دفع بالعربة الي ترعة قريبة، وسقطا كلاهما في الماء، واتسخت ملابسهما! فاضطر الأخان إلي العودة إلي المنزل لتغييرها وخسرا تذكرتَّي القطار.

وسَلَّما أمرهما للَّه، الذي لم يسمح لهما بالسفر في ذلك اليوم بالذات! وكان الرب قد أعلن لهما عن عظيم حُبِّه، عندما إطلعا علي الصُحف، في صباح اليوم التالي، وعَرفا أن القطار الذي تركاه، قد انقلبت عرباته، ، ومات كثيرون! فحمداً الله كثيراً، علي تدبيره الصالح لهما.

٩) وقد قرأت عن شاب، كان علي وشك السَفر، إلي أوربا، بعد تفوقه في الجامعة، وذهب إلي ميناء الإسكندرية، ليُسافر بالباخرة، وحدَث عُطل بها أحتاج الي ساعتين لإصلاحه، فقرَّر أن يتجوَّل بالاسكندرية حتي موعد إقلاعها، وجلَس علي مقعد في حديقة عامة.

وأعجبته «وردة حمراء» جميلة فأسرع وقطفها! ولَمحه الشرطي وقرر أن يقتاده الي قسم الشرطة، لتحرير مَحضر مخالفة له. وعبثاً حاول إقناعه، بموعد إقلاع المركب، وليس له متسع من الوقت. فحزن جداً وندم علي فعلته، ولكن بدون جدوي! فقد صمم الشرطي علي رأيه، بكل صرامة. وشعر الأخ بأن

مستقبله قد ضاَع، لاسيما بعدما حل موعد إقلاع السفينة! ولكن كانت ثمة مفاجأة تنتظره! فقد نشرت الصُحف في اليوم التالي، بأن السفينة قد تعرّضت للأنواء، والعواصف الشديدة، وغرقت بكل ركابها.فأدرك أن «هذا التعطيل له» كان بتدبير الرب، وأنه كان لخيره فعلاً، وسافر في وقت آخر، وحقّق مُراده، وهو أكثر سعادة، بالترتيب الإلهي العجيب!

١٠) روَي أحد الوعاظ أن جمعية دينية قد دَعت خادماً (مُبشرا) أجنبياً، ليعظ بها «في أسبوع نهضة» عام ١٩٧٢، وتحدّد موعد مُعين للقائه، في المطار، والإقامة في مصر، وكان هذا الواعظ قد خطّط أن يذهب أولاً إلي «ليبيا» للخدمة هناك، ولكن ما أن هبطت به الطائرة هناك، حتي صدَر الأمر بطرده فوراً، بعدما علموا بهدفه الروحي. وهكذا أعادوه علي أول طائرة! فماذا يفعل؟! ومن سينتظره؟! لقد كان عليه أن يأتي إلي مصر، في وقت مبكر، قبل موعده بعدة أيام، فلم ينتظره أحد، ولكنه بصعوبة وصَل الي مقر الجمعية، التي دعته للخدمة، وما أن بدأ عظته الأولي بعد أيام، حتي أعلن مفاجأة سارة!!

فقد منَعه الروح القُدس، من الخدمة هناك، ورتب له أن يأتي الي مصر، في غير موعده، لكي ينقذه من كارثة محققة! فقد علَم من الصحف أن الطائرة التي كان سيستقلها (إن كان قد تأخر في ليبيا) قد أصيبت بصاروخ إسرائيلي، بعد عبورها فوق شبه جزيرة سيناء، وسبّحان مُرَتب الأمور، لصالح أبناء النُور، فهو «ضابط الكُل» وما أحلي الخضوع لمشيئته الصالحة وترتيبه العجيب الذي يفُوق الوَصف، ويدعو للشكر.

١١) وقديماً أعلَن شَمشون الجبار (في فَزورَته المَشهورة) «أنه قد خَرج من الآكل أُكْلاً، ومنَ الجافي حَلاوة» (قض ١٤:١٤). وبالمثل، فإن الرَب قادر بالطبع أن يُحول المُر إلي حلُو، وأن يستخدم ما يَحل من الشر لصالح البشر فعلاً، وتلك قصة واقعية أخري، تؤكد علي دور العناية الإلهية، التي تتدخُل لصالح أبناء النعمة، قبل أن تَحل بهم الكوارث، والهَلاك المُحقق.

فقد تعرُض بعض الجنود الأمريكيين، إلى سقوط طائرتهم في منطقة صحراوية، خلال الحَرب الكَورّية في «الخمسينات» وقد

نجوا جميعاً، ولكنهم عانوا من العَطش الشديد، بعد نفاَذ المياه، وإقتربوا من حَافة الموت!

وينس البعض من النَجاة سريعاً. وكان بعض الجنود يؤمنون بقُدرة اللّه الفائقة، وأن غير المُستطاع لدي الناس مُستطاع عند اللّه، وتذكروا دعوة الرب باللجوء إليه في وقت الضيق، وبدأوا الصلاة بحرارة وعُمق، وسَط سُخرية غير المؤمنين، من زملائهم الأشرار، خاصة وأن السماء لم تستَجب لهم!! فلم ييأسوا، واستمرّوا في طلب النجاة من الله!

ولكن طائرة الأعداء لَمحتهم، وألقت بقنابلها عليهم، فازداد احتجاج الأشرار، وسُخريتهم من الزُملاء المُصلين. ولدهشتهم جميعاً سقطت «قُنبلة» بالقُرب منهم، ولم تنفجر! بل حفرت وعمّقت في التُربة، فانفجرت المياه بغزارة، وإرتووا جميعاً، وعاشوا في فرح وشكر للّه، إلي أن تم الكشف عن موقعهم، ونقلهم إلي وحدتهم، بعدما تأكدوا «أن كل الأشياء تعمل معاً للخير، للذين يُحبون اللّه».

١٢) والحياة الاجتماعية، في مصر، مليئة بأمثلة جَميلة - في كل العصور - لتَقَبُّل أبناء المعمودية، بما تسمَح به العناية الإلهية، من ظروف صِحية، ومالية واجتماعية صعبة، يعيش فيها «الشريكان المؤمنان»، بحب وتسليم كامل لمشيئة اللّه، في أسرة مسيحية مُباركة؛ وفي شُكر دائم، وتسبيح دائم، من القلب إلي الرب، رغم ما تُحيطهَما من منغَصات للحياة، لفترات طويلة، كمرض أحد الشريكين، أو فراقه للآخر، أو من عدم الإنجاب، أو بما يحُل بالأبناء، أو الأهل، أو ما شابه ذلك من تجارب صعبة!

علي النقيض من الأشرار، وضَعاف الإيمان، الذين لا يرضون بقضاء اللّه، ويسْعون إلي حلول بَشرية، (قد لا تُوافق الإرادة الإلهية) تَزيدهم تعباً علي تعب، فمن لا يُرضي الرب لا يجد راحة ولا سعادة، مهما أغراه العالم والشيطان!

خذ مثلاً، أُمنا «سارة» التي لم تنتظر وعْد الرب، بأن يكون لها نَسل من صُلبها «في الوقت الذي يَختاره اللّه». وسَعت لحلول من عندها، نالت منها تعباً شديداً، حينما أشارت علي أبينا

ابراهيم، بالزواج من جواريه، علي نقيض «حنة» المرأة الفاضلة، التي سلَّمت أمـــرها لله، رغم أن «ضُرَّتهـــا» كـــانت تُعـــايرها بعُقمها .لكنها كانت تقضي أطيب وقت، مع أعظم الأحباب، وتذهب الي بيت الله، مُصليَّة بإيمان ودموع، حتي إستجاب لها الرب - في الوقت المحدد من السماء - ورزَقها بالطفل «صموئيل» الذي صار عظيماً في الأنبياء.

ولَيت كل إمرأة عاقر، تنظُر في تأمل - إلي سيرة «حنة» المُباركــة، وتقنَع بما يراه اللّه في الوقت المناسب، وتشكر اللّه دائماً، سواء منح أو منع، أعطى أو أخذ. كما ينطبق نفس الشيء علي اختيار اللّه الحياة التي يراها لكل إنسان، سواء في البتولية أو الزواج، أو التَّرمل، أو غير ذلك، من الحالات الاجتماعية، وليحذف المؤمن من قاموسه حرف الشرط «لو» ولا يُردد عبارات عدم التسليم، مثل «لو كان كذا... كان يُبقي أحسن»، «لو كان ربنا عَمل كذا...»!

إنه حقاً، قد عَمَل لصالحك فعلاً، وحالتك الحالية هي التي

اختارها الرب لك، فتقبّلها بشكر ورِضي تام، حتي تشعر بالهدوء والسلام، ولا تتذمّر علي ضعفك «مهما كان» فتفقد سلامك، ويحل بك القلق والحيرة، وتكون مَجالاً خصباً، لأفكار عدو الخير. ولا يخفي عليك نتيجة تلك الأفكار. والأمثلة واضحة أمام عينيك! والعلاج سهل: تقبّل ضعفك، وأشكر اللّه علي كل حال، وقل (كما يقولون في الأمثال) «ليس في الإمكان، أبدع مما كان»!

وثمة قصة رمزية مشهورة، موجَزها أن شخصاً مسيحياً تذمّر علي اللّه، معلناً أن صليبه ثقيل، وأثقل كثيراً من صلبان غيره، من المؤمنين فجاءه ملاك الرب - في حلم - وأدخله إلي حجرة مليئة بالصلبان، المختلفة المعادن والأحجام، وطلب منه أن يختار صليباً لنفسه! فأختار صليباً حديدياً ، فوجده محمي بالنار ، ثم اختار صليباحَجريًا فوجده ثقيلاً جداً ؛ واختار صليباً خشبيا ، فلم يكن أخف من سابقيه ، وأخيراً اهتدى إلى صليب ورق ؛ حمله بفرح!

فقال له الملاك : « إقرأ المكتوب عليه من الخلف » !

فاكتشف أنه «صليبه شخصيا » لأن إسمه مُسجّل عليه !!

فـأدْرك أن الربّ قـد اخـتـار له الصليب المُناسِب . وبعـدمـا استيقظ من نومه شكَر الرّب ، لأنه يختار الأصلح دائماً .

فـهل اختـبـرتَ ذلك ياعـزيزى ؟! أم مـازلت تتـذمّر وتَّردّد بأن صليبك أثقل من صليب غيرك ؟! وليتك تنظُر إلى صُلبان الشهداء ، وكبار القديسين، وحينئذ فقط ستقول : « إن صليبى من ورق ، ولن يحتـاج إلى مـزيد من التـعب والعَرق ، لأن الرب سيحمِلنى وصليبى معاً » !

١٣ـ يروى بُستـان الرُهبـان ، أن أحـد القديسين ذهب ليُعـزّى سيدة ، فوَر سَماعِه بوفاة إبنتها ، وذكّر لها الآية التى تقول:«إن كل الأشياء تعمل معاً للخير للذين يُحبّون الله » .

فلم تتقبل كلماته ، واعترَضت على القضاء الإلهّى المحتوم ، على كل حى ! وطلبت من رجل الله أن يدعو ربّه ليُعيدَ الحياة إلى وحيَدتِها ، كمـا فـعل الرب لأجل «إمرأة نايين» (لو٧:١١) ولعـازر أيضاً.

وألح عليها القدّيس بأن ترضى بما قَسمَه اللّه لها ، وبما سمحت به السماء ، من نياحة إبنتها فلم تقبل نصيحته!

وأمام إصرارِها ودموعِها ، صلى وتضرّع إلى اللّه. وتمت المُعجزة، وعادت الفتاة إلى الحياة، من جديد!

وبعد سنوات قليلة ، ذهبت هذه المرأة إلى رجُل اللّه ، طالبة منه أن يصلى حالاً لتؤخذ روح إبنتها فوراً! لأنها لم تسلُك طريق الفَضيلة، ومالت نحو الرذيلة ، وجلبت لها العار والمَرار ، والحَسرة والنَدم !

فتركها القديس وشأنها ، بعدما أعلن لها أنها لم تقَبل إرادة اللّه فى حينه. وعليها أن تجنى ثمار عدم طاعتها للّه ، ولإرادته الصالحة .

١٤ـ وفى قصة مُشابِهَة يروى تاريخ الكنيسة ، عن الأرخُن القبطى إبراهيم الجوهرى رئيس الديوان (الوزارة)، فى نهاية القرن ١٨م، الذى كان رجلاً فاضلاً ومُحِباً للمسيح ، ولحُب الغير،

وسخياً فى فِعل الخير (مع شريكة حياته). وقد إهتم بِعمَارة الكنائس، وترميمها، وأوقف عليها الأراضى ، للصرف عليها من إيراداتها . وكان له إبن وحيد ، إقترب موعد زفافِه ، وفرح به والده . ولكن أفراح الدُنيا قصيرة العُمر ، بصفة عامة ، فقد إنتقل هذا الشاب فجأة إلى الدار الأبدية.

وقاطع والِدَاه فعل الخير، وعِمَارة بيوت الله ، وَبقَيا فى حزن شديد ، على فِراق وحيدَهُما ، قبل زفافِه! ولكن هل يتُرك الله أولاده فى حزنِهم ؟!

بالطبع لا ! فكيف تَدخَّل الرب ، لعلاج هذه المشكلة الصعبة.

أذ أنه فى ليلة مُبارَكة ، رأى إبراهيم الجوهرى القديسيَن العظيمين «أنبا بولا ، وأنبا أنطونيوس» قد حضرا معاً فى حلُم (لأنه كان يهتم بتعمير ديرهما بجبال البحر الأحمر) وأعلنا له بفَم واحد ، أنهما جاءا ـ من قِبَل الله ـ وأنه من أجل أعماله الصالحه ـ مع شريكة حياته ـ قد أسرع الرب بأخذ روُح إبنهما الوَحيد ، لأنه تعالى ، بسابق علمه ، قد عرف أنه ، لو عَاش هذا الشاب لكان سبباً لتكدير حياتهما !

ونفس مضمون الحُلم ، نقله القديسان إلى زوجته أيضا فى نفس الليلة . وفى صباح اليوم التالى ، قاما كلاهُما ، وهما فى مُنتهى الفرح ، وشكرا اللّه كثيراً ، على تدبيره الصالح ، بعدما أعلنت السَماء أن ما حدث لهما كان لصالحهما فعلاً !

وهو ما اختَبَره المؤمنون ، فى كل زمان ومكان ، بأن المُر الذى يختاره اللّه لهم ، خَير من الشَهد (الحلو) الذى يختارونه لأنفسهم ! وإليك أدلة أخرى :

١٥ـ فقد سمعت من أحد الخُدَّام ، عن طالب بكلية الهندسة كان متفوقاً فى مراحل دراسته ، إلى أن وصَل إلى السنة النهائية . وقبل امتحان البكالوريوس أُصيبَ بمرض مُفاجىء ، ورسب فى هذا الإمتحان ، وتخرَّج زملاؤه ، وتم تجنيد كل أفراد دفعته ، خلال حرب اليمن . وماتوا جميعا هناك ، فيما عداه بالطبع . فقد رتَّب اللّه له هذا الحلّ ، لكى يُنجيه، ويُعطيه دَرساً عَملياً ، وقد نجَح فى العام التالى .

وأدرك ـ فى حينه ـ أن سماح اللّه له بهذه التَجربة الصَعبة ،

إنما كان لخيره فعلاً ((ورُبّ ضارة نافعة)) كما يقولون في الأمثال !

١٦) وقد سمعتُ عن صديق ، أصيب بشدة في حادثة ، فذهبت لزيارته في المستشفى ، وبكيت تأثراً . فقد مرّت فوق نصفه الأسفل سيارة نقل ، أتبعتها أيضاً سيارة أجرة ، تركته كزهرية مُهَشّمة ، إلى قطع صغيرة ، وأصبح على وشك الموت !!

ومرّت عدة أشهر ، وفوجئت بالصَديق نفسه ، يأتي لزيارتي !

جاءني فَرِحا بشفائه ، وطالباً البحث له عن شقة ! فقد قرر أن يتزوّج المُمرضة التي سهرت بجواره ، والتي قدّمت له من المحبة العَملية ، والسَهر والتعب الكثير ، حتى إلتّأم حَوضِه المكسور!

وفي صراحة تامة، أعلن لنا أن ما حدث له كان في مصلحته روحياً، فعن طريق تلك الحادثة، عرف طريق الرب، وتاب بعد نزوة الشباب، فأحبّ الرب من كل القلب، وظل يُردّد مع المُرَنم «تأديباً

أدبني الرب وإلي الموت لم يسلمني» (مـز ١١١٨: ١٨) وقـول القديس بولس «الذي يحبه الرب يؤدبه» (عب ١٢:٦). ولا شك أن الرب قد إختص الرسول بولس، بتجربة صعبة - لازمته طوال حياته، وقال - في إعتزاز وحكمة واتضاع - أنها كانت «بَرَكة عُظمي» له، حتي لا يفتر بنجاح خدمته، ويشعر دائماً بضعفه، كلّما عاني من «شوكة الجسد» (٢ كو ١٢:٧).

١٧) وكُنت أعرف خادمة مُباركة، مرّت أيام شبابها دون أن تتزوج، ورفضَت بشدة أن تُطيع أفراد أسرتها، بالذهاب لأهل الشَعوذة والدَجل» (بزعم أن أحدهم قد عَمل لها عَملاً «سحراً» ليهرَب منها العريس، كما يظن أهل العالم خطأ).

وهكذا لم تُطع الأخت المؤمنة، صوت الشيطان الماكر، وخضَعت تماماً للتدبير الإلهي الصالح، الذي تم في حينه الحَسن، واختار لها الرب زوجاً صالحاً، وأنجبت ذُرية صالحة «وطوبي لمن يُسلّم أمره لله» ليختار له ما يُوافق صلاحَه، في الوقت المُناسب، وبالأسلوب المُناسب.

١٨) وذات مرة تاه أحد الشُبان في صحراء، وعطش جداً،

ولم يجد قَطرة مـاء، ولكنه لمح من بعـيـد، قطرات من الميـاه تتـدفق ببطء من صَخرة عالية، يَصعُبْ الوصول إليها.

فتسلّق جـانبـاً منها، وأخـذ قطعة من زجاجة مكسورة، وظل يسـتـقبل فـيـها السـائل المُتدَفق، قطرة قطرة! وقبل أن يشـرب منه جـاء «نسـر» وضَرب الإناء بجْناحه، وسـقط السـائل علي الأرض، وضاع هَباءً!

وبدأ الشـاب يسـتـقـبل القطرات من جـديد، ولما بدأ يشْرب أسَرع الطائر ودَفع بقطعـة الزجـاج، فـسـقط السـائل وتكررت المَحاولة عدة مرات، والطائر في كل مرة يُسـقط الزُجاجة، حتي تضـايق الشـاب، وأدرك أن الرب لا يُريد له أن يشـَرب منه! فـزاد تذمرُّه، وليته ما تذّمر (فالعبد في التفكير والرب في التدبير).

وقـرر الشـاب، أن يدور حَول الصـخـرة، ويتطّع إلي أعلي ليعرف مَصدرْ السائل المُنحدر، ولدهشته رأي «ثُعباناً ضـخماً» يفتح فمه، وكان يقذف بسّمه! فشكر الشاب الرب، الذي أرسل له هذا الطائر، ومنعه من شُرب السّم. وبعدما سار قليلاً إكتشف

نبـعـاً من الماء العـذب، فـشَرب وارتوي، وتعلَّم درسـاً: «أن كل الأشياء تعمل معاً للخير للذين يُحبون الله».

١٩) روي قداسة البابا شنوده الثالث - أطال الله حياته - في إحدي عظاته، أن فتاة جامعية، تخرَّجت من الجامعة ومرّت عليها عدة سنوات، ولم تجد عملاً وكانت تشكُر وتصبر! وذات مرة أطلعت علي إعلان، بإحدي الصُّحف، وتوجَّهت أولاً الي الكنيسة لتطلب مَشورة الرَب، وحتي تجد نعمة في عيون المسئولين عند التقدم بطلب التعيين بالشركة، بعد طو'ل إنتظار، ولا تعلم ما يُخبئه القَدر لها، ومن فَرط محبتها للرَب، أفرغَت كل ما في حقيبتها من قروش معدودة في «طبق الكنيسة» بطريقة آلية سريعة، أدركت بعدها، أنه لم يعد لها أي مبلغ للمواصلات، وأنه يلزمها أن تعود الي بيتها، لتحصل علي أجرة المواَصلات!

وعندما هَمت بالصعود إلي شقتها، سمَعت نداء ساعي البريد لها، وقامت باستلام رسالة مسجلة بتعيينها في وظيفة مناسبة فشكرت الله!

وكانت المُفاجأة الثانية، أنها قرأت في الصُحف - في اليوم التالي - أن الشركة التي كانت تنوي الذهاب إليها، كانت تُفجر بالمتفجرات. وتم القبض علي القائمين بها، وهكذا عطلَّها اللَّه عن الذهاب للأشرار، لأنها أحبّت الرب، وسلَّمت له أمورها، طبقاً لوعده الصادق والأمين «مُلقين كل هَمُّكم عليه لأنه هو يعتني بكم» (١ بط ٥:٧).

وكم مرَّة دبَّر اللَّه لنا النجاة، من الأعداء الخفيين والظاهرين، ومن كل الأخطار والحَوادث، دون أن يُعلن اللَّه عن أعـــمـــاله العظيمة والكثيرة، التي تتم بتدبيره الصَالح، في السرِ والعَلن.

٢٠) روَي أحـــد الأخـــوة المُبـــاركين، أن كـــاهنـاً يُدعى أبونا «إبراهيم» خادم مذبح السيدة العذراء بإحدي قري الصعيد، كان رجلاً باراً وبسيطاً... وقد ذهب ذات مرة، ليبيع بعض قطع الحُلي الذهبية. وبعدما باع الذَهب، شاهده لص وهو يضع النقود الذهبية في جيبه، أراد أن يسرقها منه.

وعندما أراد الشيخ القديس أن يعبر النيل في مَركب... من الضفة الغربية، الي الشرق، زعم اللص بأن نقوده الموجوده

داخل قطعة من القُماش، قد سُرِقَت منه في المركب، وطلب أن يتم تفتيش الركاب، بما فيهم الأب الكاهن. فأحسَّ رجل الله بالحَرج. وفي بساطة مُتناهية أخرَج رجل الله المبلغ الذي معه وألقاه في هدوء في مياه النيل، حتي يحفظ للكهنوت هيبته .وسلَّم أمره لله!

وبعدما ذهب الشيخ البسيط، إلي بيته، نام نَوماً عميقاً، ونسي كل ما حدث له! وعندما قرع بابه بائع سمك، أصرَّ علي تقديم سَمكة كبيرة لزوجة الكاهن المُبارك، فأسرعت وأيقظت رجل الله، لكي يرفض شِراء السمك، في ذلك اليوم، لأن نفس البائع باع لهما سمكاً في اليوم السابق.

وفي بساطته المَعهودة أشتري السَمكة، وقامت زوجته بإعدادها للطهي، وأكتشفت أن بها كيساً، فأدرك الكاهن أن العذراء قد أتت له بماله المفقود، وهو ما تم فعلاً! فما أجمل حياة التسليم لمشيئة الله الصالحة دائماً .

٢١) نذر أحد الفلاحين أن يزور القُدس، إذا حلّ له الرب مُشكلته، ولكن إمرأته طلبَت منه أن يشتري «كيلو شمع» فقط!

وفي الوقت المُعين، استجاب الرب، وقام الفلاح ببيع جاموسته، وعند عودته من السُّوق، سَرق اللص المبلغ. فلم يحزن، وسلَّم أمرّه للّه. وعندما سأل الناس عن مصاريف السفر بالمركب، قيل له إن المركب قد غادرت البلاد فعلاً، وأنها غرِقت أيضاً في البحر! ومن ثم قال لزوجته، إن الرب قد سَمح بسرقة ثمن الجاموسة، بدلاً من الموت غرَقاً، فحمد الله علي تدبيره الصالح لأولاده المُطيعين. له الحمدَ والشكر إلي الأبد آمين.

٢٢) وقد ورد في إحدي المَجلات، أنه كان هناك إنسان مُتذمر، غير راضٍ بحاله، وكان له صديق يحمد اللّه باستمرار، «في كل حَال، ومن أجل كل حَال» وذات مَرة سافرا كلاهما بسيارة في «طريق الإسكندرية – مرسي مَطروح».

وكان الأول يشكو، بينما كان الثاني يَشكر اللّه، علي تدبيره وبركاته! وسأل المُتذمِّر صديقه الشاكر: «هل ستَظل تشكر، بعد أن تُصيبك مُصيبة؟!» فأجابه «بالطبع نعم»! وبينما كانت السيارة تسير بسرعة كبيرة، إنفجر إطارها وإنقلبت عدة مرات، وخرج

منها الصديق المُتذمر سَالماً، بينما أصيب الأخ الشاكر، إصابة بالغة في ظهره، وتقرر علي إثرها استئصال إحدي كليتيه!! وتهكَّم صديقه مُتسائلا، «هل تشكر الله، علي ما حدَث لك؟!» فأجابه بالإيجاب أيضاً! وكانت المُفاجأة!!

فقد اكتشف الأطباء أن كليته كانت مُصابة بالسرطان، في مراحله الأولي، وأن الرب رتبَّ هذه الحادثة لأستئصالها، قبل أستفحال المرض في جسد الأخ المُبارك، وابتعد عنه المرض، فأزداد شكراً لله، علي اهتمامه بأولاده الخاضعين لمشيئته!

٢٣) وذكر أحد الآباء، أن شاباً بريطانياً أحبَّ المسيح. وأراد أن يُبشِّر بإسمه في قارة أفريقيا، وكان وحيداً لأمه! التي كانت تَملك ثروة طائلة! وقد بكت بدموع غزيرة حتي لا يتركها وحدَها. كما حاول أقاربه إثنائه عن هدفه الروحي، بعرض منصب كبير عليه، ولكنه رفض كل ذلك. وعند صُعوده إلي السفينة سَقط بينها وبين قارب صغير، وترتب علي ذلك قَطع ساقه تماماً، وتم عمل ساق صناعية له، ومع ذلك صمم الخادم الأمين علي خَدمة المسيح

الذي أحـبَّه، مـن كل قلبـه، وأراد أن يُوصِل رسـالتـه الحُلوة إلي جميع النفوس التي لا تعرفه!

وهكذا تمجَّد اللّه في خـدمـتـه البـاذلة في وسط القـبـائل المتوحشـة في الغابات الحارة، وإغـتـاظ منه البعض منهم، وقرروا أن يأكلوا لحـمـه! وأمـسكوه فـعـلاً! أمـا هو فـقـد أرشـده الروح القدس الي فِكرة لطيفة، فقد أعلن لهم أن لَحمه لا يصلُح للأكل!! وتأكـيـد لذلك، أخـذ منهم سكيناً وقطع بهـا قطعـة من سـاقـه المَطاطيـة، وقـد مـهـا لهم، فظنوا أن بقـيـة جسـده من المَطاط، وإنصـرفـوا عنه! وهكذا كـان كَسْـر سـاقـه سـبب بركـة له، لإنقـاذ حياته من موت مُحقَق!

وهو درس عـملي يؤكد علي صـحة الآية المُقدَسة التي تقول «إن كل الأشياء تعمَل معاً للخير، للذين يحبون اللّه»!

٢٤) ويروي المتنيح القـمـص «بطرس جـيـد» (في عظة بالزقـازيق)، أنه عندمـا كـان طالباً بقسم الفلسفـة (بكليـة الأداب) أثبت لرئيس القسـم صحة وجود الله، فأغتاظ منه الأستاذ المُلحِد،

وهدّده بأنه طالما كان موجوداً بالجامعة «فلن ينجح الطالب شوقي جيد» فتسبَّب في رسوبه عامين!!

ولم يحزن إبن المسيح، وإنما لجأ لطلَب مَعونة الله؛ وصلي بإيمان، مُسلِّماً أمرَه بيد الرب. ولم تمر فترة طويلة، حتي ترك هذا الأستاذ الظَالم رئاسة القِسم، ورحل عن العالم الي مكان المُلحدين!

ويذكر أبونا بطرس، أن الرب قد رتَّب له أن يتأخَّر عامين في الدراسة بالجامعة، حيث رزقه بخير وفير، كان لا يمكن له أن يحصل عليه، لو لم يرسب فعلاً!

٢٥) روي القمص عبد المسيح النخيلي (في عظة بملوي)، قصَّة من التُّراث القبطي القديم، فقد تأمل راهب متوحد في الآية - موضوع هذا الكتيب - ورأي أمامه نماذجاً من الأمراض والتجارب الصَعبة، وموت الأعزاء، وأمثالها من الكَوارث، وتساءل: «هل كل هذه الأمور خير»؟! «وكيف تكون خير، وهي شر»؟!

فأرسل الله له ملاكاً - في حلم - وطلب منه أن يصحبه دون أن ينطق بكلمة مما سيراه من تصرفات المَلاك. وكان أول لقاء - للإثنين - مع شخص مسيحي، طلب منه الملاك كأساً ذهبية، فأخذها وأخفاها معه! ثم ذهب الإثنان إلي رجل آخر، وطلب الملاك منه أن يستضيفهما، فرفض! ولما ألح عليه، فتح الباب قليلاً، ليستعلم عن الضيفين. فأعطاه الملاك الكأس الذهبية دون أن يدخل!

وذهب الملاك - مع الراهب - الي سيدة أنجبت شابة، وكانت المرأة قد ورثت مالاً وفيراً، فأخذ الملاك «روح إبنتها»! ولما بدأ الراهب يثور علي هذه التصرفات، ذكّره الملاك بأنه طلب منه أن يصمت، حتي يُفسّر له الأحداث كلها، مرة واحدة. فسكت، وهو في دهشة من أمره! وبعد ذلك استمر نفس حلم الراهب، والملاك يصحبه أيضاً إلي جهة أخري!

فقد ذهبا كلاهما إلي عشه، ذات بناء بسيط من البوص والأعشاب، حيث وجدا فتاة مشوهة الوجه، استقبلتهما بالبشاشة

والترحـــاب، وقدّمت لهما القليل جداً من المال، الذي كان معها، وعند إنصرافهما قام الملاك بَحرق عشتها بالنار، فهربت منها قبل أن تحترق فيها. فتَحيّر الراهب! وحينئذ إبتدأ ملاك الرب بتفسير ما فعلَه مع الشخصيات السابقة:

فقال له إنه أخذ الكأس الذهبية من الشخص الأول، وأهداها الي الثاني، وهو أخوه. وكان قد أعطاه هذه الكأس وبداخلها كمية محدودة من السُم، حيث تظاهر الأخير بمحبته، وصلُحه مع أخيه - الطيّب القلب - بعد نزاعٍ طويل، علي ميـراث الوالدين، وبذلك رَجعت الكأس لمن أعطاها، ليتناول السُم الذي أعدهُ أصلاً لأخيه!! «ومَن حفر لأخيه حفرة وَقع فيها». وقد بدأ في الظاهر أن تصرُّف الأخ كان خيراً، وإن كان باطنه شراً!.

وأما الفتاة التي قبض علي روحها، فقد علَم اللّه، أنها ستَفسد، عندما تكبر في السن، وترث الثروة الطائلة، وأن أمها بعد هذا الحادث ستهب كل ميراثها ومملكاتها الي الكنيسة، وستأخذ أجرها من الرب يوم الحساب. وهي كلها أعمال خيرية صالحة!

أما الفتاة المُشوَّهة فهي أميرة كان والدها قد إنهزم في حرب، وأراد المَلك المُنتصر أن يأخذها لنفسه، ولكنها كانت قد نذرت بتوليتها للمسيح، وهَربت وشَوهت وجهها حتي لا يعرفها أحد، وعاشت في كوخ متواضع لتتعبد فيها للرب التي أحبته، وكان قيام الملاك بحرق عشتها لأنه كان هناك «كنزاً» مَخفياً تحتها، ستجده حَتماً عندما تعيد بنائها، وعلي ذلك كان إحراقها للخير، وأن «كل الأشياء تعمل معاً للخير للذين يحبُون الله» .

وبذلك لم يعد الراهب حائراً فيما يحدث للبَشر من مَصائب، لأن كل كا حدث في ظاهره كان شراً، ولكنه كان يقود إلي خير المؤمن فعلاً.

وعليك يا أخي أن تُصدِق وعَد الله، وتختبر إرادته الصالحة دائماً، وستجد السلام والسعادة، عندما تدُرك في النهاية أن ما فعله الله من أجلك كان لخيرك فعلاً لأنه يحبك .

٢٦) ويروي عن الواعظ الهندي الشهير «سنج» أنه كان مُتعصباً للديانة الهندوسية في شبابه، وقد إختطف إنجيلاً من

فتاة في المدرسة، وأحرقه، ولكن الرب يسوع أحبه لأنه عرف قلبه، فظهر له (كما فعل مع شاول الطرسوسي) وقال له: «لماذا تضطهدني، وأنا قد مُت من أجلك؟!» ولما دخل الإيمان الي قلبه، أحبَّ الرب يسوع، وخدمَه بأمانة سنوات عديدة، في ظروف غاية في الصعوبة، ووسط كراهية أسرته وشعبه، وتهديدهم له بالقتل، لترك دين أبائه. وقد تمجَّد الله معه بشكل كبير، في خدمته، وفي حياته، وأنقذه من أخطار كثيرة.

ويُروَي عنه أنه عاش في الغابات، في برد شديد، وتعَب ليلاً ونهاراً، وذات مرة كان معه القليل من الطعام فقرر أن يُصلي أولاً، قبل أن يأكله!! وبينما كان يُصلي جاء كلب جائع، وخطف طعامه من أمامه، فاستمرَّ في صلاته مُستودعاً ظروفه في يد الله. ولما إنتهي الخادم من صلاته الحارة نظر حوله فوجد الكلب قد مات، من تناول الطعام، وأدرك أن عناية الله قد رتبَّت له هذا الأمر، حتي لا يموت من طعام مسموم. وكانت قد دسَّت له أسرته السَّمَّ في طعامه سراً، وشكراً للرَّب علي كل حال.

٢٧) وكان هناك خادمان يستخدمان القطار في سفرهما دائماً، لخدمة القري المجاورة، ولكنهما قررا فجأة تغيير وسيلة الإنتقال - في يوم بالذات - وركوب الأتوبيس!

وفعلاً استخدما الأتوبيس هذه المرة، وأراد الرب أن يعلن لهما محبته في النهاية! فقد تعطل الأتوبيس في منتصف الطريق، وقد إقترب وقت العظة. ولكنهما صليا بحرارة وإيمان ليصلا إلي الخدمة بسرعة، فسارت السيارة في طريقها بدون أدني إصلاح، ومجدا الله علي سرعة إستجابته لهما، وبعدما أوصلهما إلي القرية، سمعا أن القطار الذي منعهما الله من السفر به، قد حدثت له حادثة، وأن الرب دبر هذا الأمر لمصلحتهما، لأنهما يعملان معه، ولخدمة أولاده المحتاجين لكلمة الخلاص.

حقاً ما أعظم رعاية الله للسائرين معه!

٢٨) وجاء في بستان القديسين، أنه حدثت مجاعة في مصر، بعد هبوط النيل، وعانت الأديرة أيضاً من عدم وجود قمح، وكان لدي أحد الآباء ثلاث خبزات فقط.

فقرع على بابه سائل، فأعطاه خُبزة. وبعد ساعات طلب منه جائع خُبزاً فأعطاه الثانية. وتبقَّت واحدة فقط، فقرر أن يُصلّي، وبعد ذلك يأكلها، ولكن إنساناً جاء يطلب صَدقة، فأعطاه الأب الراهب الخبزة الثالثة، وترك أمره في يدي الله، فسمع صَوتاً أعلن له، بأن الرب قد رفع الغلاء، من البلاد. وبعدما فرغ من صلاته أبصر قافلة من الجِمَال، تحمل خيرات وفيرة، أرسلها الرب إلي الدير. حقاً لقد صدق قول الرحي علي لسان داود النبي «لم أرَ صِدّيقاً تُخلّي عنه ولا ذرية له تلتمس خبزاً» (مز ٣٧: ٢٥).

٢٩) ونختم هذا الموضوع، بقصة واقعية أخري، رواها لي أحد الآباء المباركين. ومُوجزها أن سيدة مسيحية، كانت تسكن بوسط القاهرة، إنتقل زوجها من العالم، وترك لها طفلاً صغيراً، ومعاشاً ضيئلاً جداً، وتحملت التجربة في صبر، حتي كَبر الفَتي، والتحق بكُلية الهندسة.

ولم يعُد معاشها يكفي حاجة الأسرة، ومصروفات الدراسة بالجامعة. ولم تجد مساعدة مادية من أحد! فقامت سراً وارتدت

أثمالاً بالية، وجلسَت تمد يدها علي قارعة الطريق تستجدي الصدقة من الغَير!

وظلت تتردد علي حي معين بالقاهرة، وتأتي لإبنها بحَصاد اليَوم، بما يساعده علي شراء كُتب الهندسة الغالية الثمن، وعرف الإبن بتصرُّف أمه، فتأثّر من هذا الأمر، ولكنها عاهدته علي ألا تفعل ذلك، بعد تخرُّجه الوشيك.

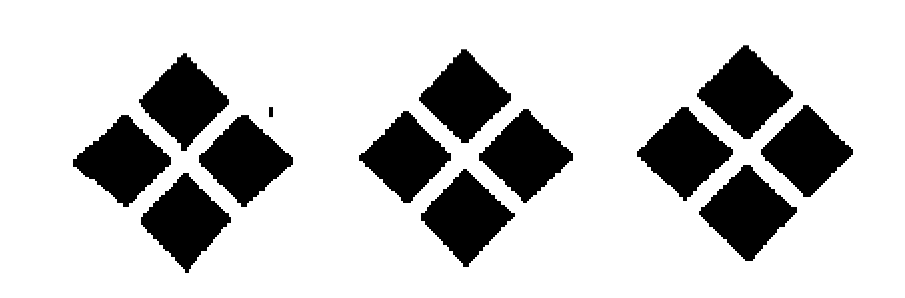
وجاءت ساعة التخرج، وحصَلَ الأبن علي الشهادة العالية ووعدَها بأن يُريَحها من كل أتعابها، التي مرَّت سريعاً وقد نسيتها في غَمرة الفَرحة، لاسيما بعدما تم تعيينه في وظيفة مرموقة، فحمدَت اللّه.

وجاء اليوم الأول، الذي يذهب فيه المهندس الصغير إلي عمله وإسعاد والدته، بعد سنوات من التَعب والمُعاناة وقسوة الحياة، ودخلت الأم الحنون لتُوقِظ أبنها ليذهب الي عمله «لأول مرة» فإذا بها تراه جُثةً هامدةً، دون أي مَرض اعتراه. وجَن جنونها، وأدركت أنها فقدت وحيدها، ومصدر سعادتها، بعد اللّهَ. ولم يستطع رجل اللّه أن يعزيها، مهما قال من أقوال. وعاشت في حزن شديد تجدف وتلَعن يومها، وتطلب من اللّه أن يأخذ روحها، لترتاح من عذاب الدنيا.

وذات يوم خرجت كعادتها، لشراء حاجاتها، فإذا بها تسقط تحت عجلا ت الترام ، ولولا تدخل الله لقضت نحبها علي الفور!

وكل ما حدث هو بتر ساقيها ! وكانت التجربة الصعبة - هذه المرة - سبباً في شعورها بمدى محبة الله ، وطول أناته علي الخطاه. وعادت الي حظيرة الرب بأكثر حب ، بعد ما أنقذها الله من موت مُحقَّق ، وأعطاها الحياه . فكرست وقتها - وبيتها - لخدمة الرب ، ونمت في النعمة ، وفي تعزيات الروح القدس ، حتي اصبح منزلها ملتقي لكل نفسٍ بعيدة عن الرب ! وكانت حالتها وقصتها الحزينة ، سبب بركة كبيرة للمتألمين والبعيدين ، وكانت شبكة للرب تصطادهم وتُعطيهم درسا عملياً في أن «كل الأشياء تعمل معاً للخير للذين يُحبون الله، الذين هم مدعوون حَسب قصده».

إلهنا يجعل هذه الكلمات، سبب بَركة وتَعزية، ودرس نافع؛ لكل من يقرأها، ويتأمل فيها ويحكيها، أو يوصلها للمتألمين والمُجربين، ولله الحَمد والشكر كل حين، من الآن وإلي الأبد آمين.





يأتـــى في الهزيع الأخير

«يأتي في الهزيع الأخير من الليل»

مقدمة:

هذا التعبير الكتابي الشائع، يعني أن الرب قد يأتي أحياناً، لإنقاذ الانسان في اللحظة الأخيرة، أو بعدما يطفح الكيل، وبمعنى آخر، يجيء المسيح، في وقت لا يتوقعه المؤمن! وقد يتدخل الله، في آخر المَطاف، لحل المشكلة المُزمنة، بعد سنوات من المُعاناة والإنتظار، عندما يُفرغ الصبر، فتظهر العناية الإلهية فجأة، وتفنقد النَفس من الضيقة، التي تضغط عليها بشدة، أو تُحقق حلماً، أو أُمنية غالية، طال إنتظارها فعلاً، وأن هذا الأمر لا يعني أن الرب يستجيب دائماً، في وقت متأخر، وإنما بسرعة غير متوقعة، في أحيان كثيرة، ولمصلحة المؤمن.

وكان اليهود يقسمّون الليل إلي أربعة أجزاء مُتساوية، (هجعات) كا منهما ثلاث ساعات ، هي «الهزيع الأول»، (مراثي ١٩:٢) أو الهجيع الأول (قبل صلاة النوم، وحتي وقت العَشاء) ويبدأ من السادسة (عند الغروب) حتي التاسعة مساءً بالتوقيت الحالي، «والهزيع الثاني» (لو ١٢:٣٨)، من الساعة ٩ - ١٢ ثم «الهزيع الثالث» أو الأوسط (قض ١٩:٧، لو ١٢:٣٨) من الساعة ١٢ م حتي ٣ صباحاً. «والهزيع الرابع» أو الأخير (مت ١٤:٢٥، مر ٦:٤٨) وقد يُدعي «هزيع الصّبح» (خر ١٤:٢٤). كما يُسمّي أيضاً «صياح الديك» (مر ١٣:٣٤)، وهو من الساعة ٣ ـ ٦ ص. وهو أشد ساعات الليل ظلمة. ويقع قبل طلوع الفجر، وبزوغ أول خيوط ضوء النهار، (أي كلما زادَت الحياة صعوبة، قرُبَت ساعة الفَرج)!!، ويقول مُفسرو الكتاب، إن المسيح سيأتي ثانية، «بعد مُنتصف الليل» وطوبي للساهرين من أجل انتظار الرب، وخلاصهم من هذا العالم المُتعِب (حز ١٩:٩)!

ونلاحظ أن الكتاب - بعهديه - يذكر لنا أمثلة كثيرة، تُوضّح

لنا أن المسيح كان يتأخر «أحياناً» في المجيء (أو في الإستجابة)، بهدف إظهار مقدار إيمان الإنسان بالله، ومدي أنتظاره و صبره لمجيئه، ورجاءه فيه، حتي يستجيب، ويحل المشاكل التي يعاني منها طويلاً.

وللأسف فإن كثيرين يشترطون الإستجابة السريعة لصلواتهم، وإلا تركوا الرب، وبيته، وعبادته. ويقودهم استعجالهم الخاطيء إلي الفتور الروحي، والضيق والتذمر. ثم يأتي بهم إلي مرحلة اليأس في الخلاص من المتاعب، والمشاكل، ويبدو ذلك واضحاً، في نغمة حديثهم، اليائس كقول البعض: «ربنا مش سائل عنا» «ربنا سادد ودانه»، «ما خلاص ربنا نسينا»، «نروح الكنيسة ليه»! بعدما زهقنا من الطلب بدون فائدة»! الخ...

وكأن بهم يريدون الضغط علي الله لتحقيق طلباتهم، في الوقت الذي يحددونه، دون أن يفهموا القصد الإلهي، من تأخير الإستجابة، والبركة الحقيقية من الإستجابة، في الوقت الذي يحدده الله.

وبالطبع فإن كل أمثال هؤلاء اليائسين - الضعاف الإيمان - يُعانون نفسياً من نفاذ صَبرهم، علاوة علي ما يُقاسون، من متاعبهم الأصلية، مما ينعكس أثره علي صحتهم، وهبوط روحهم المعنوية، أو الفشل في التعامل - بهدوء - مع الناس، وقد يُعَجل بموتهم، إذ تصل حالة اليأس، والملل والكآبة إلي الانتحار المادي، بعد الانتحار المَعنوي، وتنتهي بهم الحَال إلي الهلاك الأبدي، علي نقيض المؤمنين، الصابرين، الشاكرين، الذين ينتظرون بإيمان استجابة السماء - في وقت ما - ويُصلون باستمرار ليل نهار، ويشكرون بلا إنقطاع . وبكل إتضاع يستودعون ظروفهم بين يدَّي العناية الإلهية، مصداقاً لقول النبي المُختَبر «سلِّم للرب طريقك وهو يُجري» (مز ٣٧:٥).

وتصديقاً للتعليم الربَّاني بأنه ينبغي: «أن نُصلي كل حين، ولا نَمَلّ» (١٨:١) من السؤال. وأن نقول للرب دائماً: «لتكن مَشيئتك» (مت٦ :١٠).

فلنطلب من الرب المُحب، أن يُدبرَّ الأمور بالطريقة التي يراها،

وفي الوقت الذي تختاره إرادته الصالحة، إن آجلاً أو عاجلاً، وإن لم يستجب الرب، ويُحقق الطلب، فلنشكره من عُمق القلب أيضاً، ونثق تماماً أنه بار بنا، وأنه تعالي يري أن ذلك في صالحنا تماماً، والمُر الذي يختاره لنا، خير من الشَهد «الحلو» الذي قد نختاره لأنفسنا!

وهو ضابط الكل، العالم ببواطن الأمور، في يده الماضي والحاضر والمُستقبل، وهو يختار الوقت المُناسب، والوضع المُناسب لأولاده، حتي ولو بدا صعباً ومُتعِباً!

وهل يمكن للأب الجسدي (العَاقل) أن يستجيب لإلحاح طفله الصغير، عندما يطلب منه سكيناً حادة تُضره؟ بالقطع لا!

وفي هذا نأخذ درساً من الرسول بولس، الذي صلّي عدة مرات من أجل أن يرفع الرب عنه شوكة الجسد (مرض شديد في عينيه)، ولكن الرب رأي أن يظل حاملاً للألم، ليزداد إتضاعاً، ولا يَفتر بنجاح خدمته الكبيرة (٢ كو ١٢:٧) كما شهد بنفسه، وقال بكل تأكيد: «نحن نعلّم أن كل الأشياء تعمل معاً للخير، للذين يُحبون الله» (رو ٨: ٢٨).

حـث علي إنتظار الـرّب

يدفع الإيمان بالله، والثقة في قُدرته العظيمة، إلي انتظار الرب، مهما طال الوقت، وسار قطار العُمْر، إلي أن تتدَّخل العناية الإلهية، للنَظر في الأمر الصعب، وحل المشكلة التي تُؤرِّق الإنسان، أو تخليص المؤمن مما يُعانيه من متاعب مادية أو روحية، وهي النصيحة التي يُقدمها لنا النبي هوشع: «إنتظر إلهك دائماً» (هو ١٢: ٦).

وقد أخبرنا نبي الرجاء إشعياء، عن نتيجة هذا الانتظار لدي المؤمنين بقوله: «إلهنا إنتظرنَّاه فخلَّصنا» (إش ٢٥: ٩).

ويمتدح هؤلاء المُنتظرين قائلاً: «طوبي لجميع مُنتظريه» (إش ٣٠: ١٨)، حقاً: «لا يَخزَي مُنتظروه» (إش ٤٩: ٢٣)!

لأنهم سوف ينالون ما يريدون: «أما منتظرو الرَّب فيجددَّون قوة، يرفعون أجنحة كالنسور، يركضون (يجرون في سباق الحياة) ولا يتعبون، يمشون ولا يعيُّون» (إش ٤٠: ٣١).

ويعتبر داود النبي من أجمل أمثلة «الإنتظار»، بصبر، حتي يتمم الله الأمر، الموعود به، فقد أختاره الرب ليخلف شاول علي كُرسي المملكة، ورسمه صموئيل النبي، ملكاً علي بني إسرائيل، وطال الإنتظار سنوات وسنوات، وتحمّل من أجله عدة ضيقات، حتي جاء الوقت المُحدد من الرب، بعد موت شاول الشرير: «لأن عاملّي الشر يُقطَعون، والذين ينتظرون الرب هم يرثون الأرض» (مز ٣٧:٩). وكان يُصلي ويقول: «أُوجِّه صَلاتي إليك وأنتظر» (مز ٥:٣) وقال أيضاً: «إنتظرت أحكامك» (مز ١١٩:٧٤)، «نفسي تنتظر الرب أكثر من المُراقبين الصُبح» (مز ١٣٠: ٦)، «إنتظرت كلامك» (تحقيق وعَدك) (مز ١١٩:٨١).

وكانت النتيجة عظيمة: «إنتظاراً أنتظرت الرَب، فمال إليّ وسمع صراخي» (مز ٤٠:١)... وليتك تسمع نصيحته: «أنتظر الرب، ليتشدّد وليتشجع قلبك، وإنتظر الرب» (مز ٢٧:١٤)، لأنه «جيد أن ينتظر الإنسان، ويتوقع بسكوت خلاص الرب» (مراثي ٣:٢٦).

إنتظار خلاص المسيح للعالم

يُشير الكتاب الي كثيرين، إنتظروا مجيء المخلّص إلي العالم، كوعده لآدم» (تك ۳:۱٥)، (عب ۹:۲۸) ومن أشهرهم سمعان الشيخ، «الذي أُوحِيَ إليه بالروح القدس أنه لا يري الموت قبل أن يُعاين مسيح الرب». وهو ما تُم في أوانه، (بعد ۲۸۰ عاماً من الإنتظار)، كما ورد في بشارة القديس «لوقا» حيث: «أتي «سمعان» بالروح إلي الهيكل، وأخذ الصبي علي ذراعيه وبارك اللّه (شكره وسبّحه) وقال: «الآن تُطلق عبدك يا سيد - حسب قولك - بسلام» (لو ۲:۲٥)

وكان هذا الرجل المُبارك، ضمن لجنة الإثنين والسبعين شيخاً، الذين كلّفهم بطليموس - في الاسكندرية - بترجمة العهد القديم إلي اللغة اليونانية (سنة ۲۸۰ ق. م).

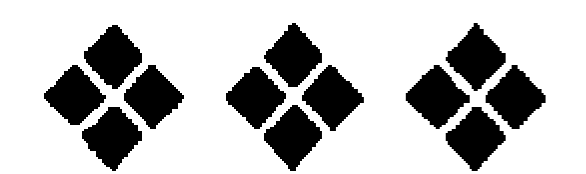
وكان سمعان الشيخ قد توقّف عند الآية القائلة: «هوذا

العذراء تحبل وتلد إبناً» (إش ٧:١٤)، ورأي أنه من الأنسب ـ في نظره ـ أن يُترجم كلمة «عذراء» Virgin إلي «فتاة»! فانكسر قلمه عدة مرات! ولما تحيَّر في الأمر، أعلَمه الرّب، بأنه سيعيش ليشهد بنفسه تحَقُّق هذا الوعد الإلهي، في الوقت المُحدد من السماء: «في ملء الزمان» (غل ٤:٤).

وحَنة النبية (٩١ سنة) كانت هي الأخري تنتظر مجيء مّخلص العالم «كفيرها من اليهود» وظلَّت لا تُفارق الهيكل عَابدة بأصوام وطلبات – ليلاً ونهاراً – حتي دخلت أم النور بالطفل يسوع إليها، فلما رأت المولود: ففي تلك الساعة، وقفت تُسبّح (اللّه) وتكلمت عنه (المسيح) مع جميع المُنتظرين فداءً في أورشليم» (لو ٢: ٣٦ – ٣٨) وكان «يُوسف» (الرامي) مُشيراً ورجلاً صالحاً باراً، وكان هو أيضاً ينتظر ملكوت اللّه» (لو ٥١:٢٣).

ويتحدث رسّل المسيح عن ضرورة إنتظار مجيء الرب الثاني باستعداد – من الآن – لأنه سيأتي فجأة (فيلبي ١:٢٠، تي

٢:١٣، ٢ بط ٣:١٢، يه ١٢) وإنه قـريب الأتيـان (حـز ٣٦:٨). «سـيـأتي الآتي ولا يُبطيء» (عب ١٠:٣٧). «آتيـاً علي سـحـاب السَمـاء» (مت ٢٤: ٣٠). حـقـاً لقـد صَدقت كلمـتـه: «ها أنا آتي سريعاً» (رؤ ٣:١). وكل مؤمن مُنتظر ومُستعد، يقول من كل قلبه: «آمين تعالَ أيها الرب يسوع» (رؤ ٢٢: ٢٠) .



بَركات الصَّبْر:

إن كُنا نَسمع المتشائمين يقولون: «آخرة الصبر القبر» لكن الحياة الروحية العَملية، تمتليء بنماذج جميلة للصابرين، المؤمنين بضرورة تدخُّل الله، وحلّ المشكلة، ولو بعد حين: «ربنا عوَّض صَبرنا خير» و«الصَبر طيّب»!

وما من شك فإن الانتظار «بإيمان» يقود الإنسان إلي إقتناء فضيلة الصَبر، وطول الأناة، ونوال المُراد، والشعور بالأمان والسلام عن طريق التسليم الكامل للمشيئة الإلهية الصالحة

والخضوع التام للتدبير الإلهي العظيم، الذي يتم في الوقت المُرتب من السماء، كما يقول النبي المُختَبر: «أنتظر الرب وأصبر له» (مز ٣٧:٧) «أصبر لإله خلاصي» (مي ٧:٧).

ومن أشهر الصابرين، في العهد القديم «ايوب الصابر» الذي قال: «كل أيام جهادى أصبر، إلي أن يأتي بدلي» (أي ١٤:١٤). وقد نال التطويب علي صبره، وعوّضه الله علي كل ما فَقده: «قد سمعتم بصبر أيوب، ورأيتم عاقبة الرب» (يع ٥:١١).

وفرسان الصبر - علي مر العصور - كثيرون - ومنهم الأنبياء والرّسل والشّهداء والقديسُون (رؤيا ١٤:١٢)، والسوّاح والنُّساك، والخُدام علي كافة مستوياتهم الروحية، وعلي رأسهم «أم النور مريم» والقديس بولس الرسول الذي سمح اللّه «بشوكة» (مَرض) في الجسد، لازمتّه طوال حياته، (رو ٢:٧) كما صبر علي الأشرار حتي يخلصوا (٢ تي ٢:١٠) وتراه يُردّد بفرح الروح القدس «أنا أصبر علي كل شيء» (٢ تي ٢:١٠) «كخُدام في صبر كثير» (٢ كو ٦:٤).

وأعلن عن بركات الألم (فيلبي ١: ٢٩) قائلاً: «نفتخر في الضيقات، عالمين أن الضيق يُنشيء صبراً، والصبر تزكية، والتزكية رجاء، والرجاء لا يخزي، لأن محبة الله، في قلوبنا - بالروح القُدس المُعطي لنا - وإن كُنا نرجو ما لسنا ننظره، فإننا نتوقعه بالصبر» (رو ٥: ٣ - ٥).

وعلي ذلك يري الرسول، أن الصبر يأتي من إقتناء فضيلة الرجاء، وتوسيع القلب بالحُب الباذل، ليتمكن الانسان من الصبر، وعدم الضيق من الحياة، أو من الناس المُتعبين «فالمحبة تتأني» وتُرفق، وتصبر علي كل شيء» (١ كو ١٣: ٧) واستخدام وسائط النعمة، للإمتلاء من الروح القُدس، للحصول علي المزيد من ثماره، التي من أهمها الإحتمال «وطول الأناة» (غل ٥: ٢٢).

ويفتخر الرسول بولس بصبر شعب كنيسة «تسالونيكي» علي احتمال الآلام الكثيرة، من أجل الله» (٢ تس ١: ٤).

ودعا المؤمنين في كل مكان للإقتداء بهم، في صبرهم، علي الآلام، إلي أن يتدّخل الرب في الأمر، ويأتي الفرج من عند الله» (مز ٣٨: ١٥).

وقد حثّ الرسول الخُدّام: «علي إتباع البرّ والتقويّ والصبر والوداعة» (١ تي ١١:١). واعتبر من أهم شروط اختيار الخادم للرب: «أن يكون صالحاً للتعليم وصبوراً»، (٢ تي ٢٤:٢). وإلا صار عثرة للخدمة، والمخدومين.

وقدم لنا الرسول مَثلاً عملياً للخادم الحقيقي: «الأسقف الشاب تيموثاوس» الذي كَتب له يقول: «وأما أنت فقد تبعت تعليمي (التسليم) وسيرتي وقصدي وإيماني وأناتي، ومحبتي وصبري، وإضطهادي وآلامي» (٢ تي ٣: ١ - ١٢).

وكان الرسول بولس نفسه، قد تمثّل بالمسيح في تحمّله الآلام، ومحبته الكبيرة (٢ تس ٥:٣) ودعا المسيحيين إلي حمل صليبه بفرح وشكر، لينالوا التعزية والسلام الدائم (رو ٥:١٥، كو ١١:١) «فلنحاضر بالصبر في الجهاد، الموضوع أمامنا، ناظرين إلي رئيس الإيمان ومكمله يسوع. فتفكّروا في الذي احتمل من الخطاة... لئلا تكلوا وتخوروا في نفوسكم» (عب ١٢: ٢ - ٣) «فإن كنا نصبر فسنملك أيضاً معه» (٢ تي ١٢:٢) «لأن آلام الزمان

الحاضر، لا تُقاس بالمجد العتيد أن يستعلن فينا» (رو ٨:١٨)، «لأنه بضيقات كثيرة ينبغي أن تدخلوا ملكوت السموات» (أع ١٤:٢٢).

ونفس المعني يؤكده القديس بطرس قائلاً: «لأن هذا أفضل، إن كان أحد - من أجل ضمير نحو الله - يحتمل أحزاناً، متألماً بالظلم، لأنه أي مجدٍ هو، إن كنتم تُلطَمون مُخطئين فتصبرون! بل إن كُنتم تتألمون عاملين الخير، فتصبرون. فهذا فضل عند الله، لأنكم لهذا دُعيتم، فإن المسيح أيضاً تألم لأجلنا، تاركاً لنا مثالاً، لكي تتبعوا أثر خطواته» (بط ٢: ١٩ - ٢١) «وأنتم باذلون كل اجتهاد قدِّموا في إيمانكم فضيلة، وفي الفضيلة معرفة، وفي المعرفة تعففاً، وفي التعفف صبراً، وفي الصبر تقوي» (٢ بط ١: ٥ - ٦).

وخير مُعلم الصبر علي الألم: «تعليمنا حتي بالصبر» (رو ١٥:٤)، «ويثمرون بالصبر» (لو ٨:١٥).

وقد دعا القديس يعقوب - بدوره - المؤمنين إلي «التحلِّي

بالصبر» لاسيما من أجل الله، وأن يعلموا أن الألم له ثماره المُباركة بالنسبة للمؤمنين، ولو فهموا ذلك، لفرحوا به، كما فعل القديسون والشهداء، فلنفعل مثلهم، كنصيحة الرسول:« إحسبوه كل فرح يا إخوتي حينما تقعون في تَجارب متنوعة (من أجل الفضيلة، وليس من أجل سوء التصرّف)، عالمين أن إمتحان إيمانكم يُنشئ صبراً، وأما الصبر فليكن مع عمل تام، لكي تكونوا تامين وكاملين، غير ناقصين في شيء» (يع ١: ٣ـ ٤)، «فتأنوا أيها الأخوة، إلي مجيء الرب، هوذا الفلاح ينتظر ثمر الأرض الثمين مُتأنياً عليه، فتأنوا أنتم وثبتوا قلوبكم، لأن مجيء الرب قد أقترب» (يع ٥: ٧ ـ ١١).

وأخيراً تأمل معي قول الرب الحنون، لكل مؤمن صابر مُحتمل: «إني أنا قد أحببتك، لأنك حفظت كلمة صبري، وأنا أيضاً سأحفظك في ساعة التجربة، العتيدة أن تأتي علي العالم كله، لتُجرّب الساكنين علي الأرض! ها أنا آتي سريعاً. تمسّك بما عندك، لئلا يأخذ أحد إكليلك» (رؤ ٣: ٩ ـ ١٣). «بصبركم إقتنوا أنفسكم» (لو ٢١:١٩)، «والذي يصبر إلي المُنتهي فهذا يَخلص» (مت ١٠:٢٢).

امثلة علي مجيء المسيح «في الهزيع الآخير من الليل» .

أولاً: أمثلة من العهد القديم:

١) وعد الله آدم بعد سقوطه بأن «نسل المرأة (المسيح) سيسحق رأس الحية» (تك ٣:١٥). وأنتظر الأنبياء – وقديسو العهد القديم – تحقُّق هذا الوعد الإلهي، ومرت آلاف السنين، إلي أن جاء «ملء الزمان» (الموعد)! (غل ٤:٤) وتجسَّد الفادي ليُخلِّص البشرية من نتائج الخَطية، ويُخرج المُنتظرين، علي رجاء الفداء – من سجن الهاوية، ويدخلهم إلي الفردوس، مع اللص اليمين!

٢) وعد الرب إبراهيم الخليل بأن يُعطيه نسلاً من «سارة» إمرأته، وطال الوعد سنوات وسنوات، حتي شاخ، وتململت زوجته من طول الإنتظار، فلجأت للحلول البشرية. وقد عانت منها، كنتيجة لتسرُّعها، في طلب الحل، وعدم إنتظارها لتحُقّق الوعد السمائي، الذي تم في الموعد المحدد (تك ١٧ – ١٨).

٣) سَمح اللّه أن يجرب إبليس «أيوب الصدّيق» بعدة تجارب مادية ونفسية وبدنية، فَقَد علي إثرها كل أولاده وثروته، ومركزه الإجتماعي، وأصابه المرض الشديد سبع سنوات - كما يقول التقليد - كما لم يَسلَم أيضاً من قسوة لسان زوجته وأصحابه ومع ذلك صبر وشكر، ولم يتذمر، ولم ييأس من رحمة اللّه حتي شفاه اللّه، وعوّضه عن كل أمواله وعياله!

٤) كان يوسف الصدِّيق مُحباً لربه، ولإخوته، ومع ذلك تعرّض لسلسلة من التجارب والمصاعب، إزدادت حدّة وشدة تدريجياً، إلي أن وصلت إلي قمتها بإلقائه في السجن ١٣ عاماً وهو مظلوم. ولكنه ظل ينتظر خلاص الرب، حتي جاء الوقت المُعيّن من السماء ودبّر الرب أمر خروجه من سجنه مُكرّماً، ورفعه لأكبر منَصب، وأتي بإخوته لمصر.

٥) أعلن الرب لإبراهيم الخليل، أن بني إسرائيل سيبقون في مصر نحو أربعة قرون ثم يُخرجهم منها (أع ٧:٦) وإزدادت معيشتهم صعوبة في مصر، وقسوة الفراعنة عليهم (بقتل أطفالهم الذكور المولودين) وصرخوا كثيراً الي اللّه!

وفي ساعة الصفر، أمر الرب موسي بأن يترك اليهود مصر، وقُرب البحر الأحمر أدركهم جيش فرعون ليلاً، فأصبحوا محصورين بين البحر، وبين قوات العدو، التي بدأت تقترب منهم تدريجياً. ويُسجل سفر الخروج هذا الموقف الصعب هكذا: «ففزعوا جداً وصرخوا إلي الرب... وشق الرب البحر، وتبعهم المصريون في وسط البحر!! وكان في هزيع الصُبح (الهزيع الأخير من الليل) أن الرب أشرف علي عسكر المصريين، في عمود النار والسحاب، وأزعج عسكرهم، وخلع بكر (عجلات) مركباتهم، حتي ساقوها بثقلة (بصعوبة)!

فمدّ موسي يده علي البحر، فرجع البحر – عند إقبال الصُبح – إلي حالته الدائمة، فدفع الرب المصريين في وسط البحر، فَرجع الماء وغطّي مركبات وفرسان جميع جيش فرعون، ولم يبقَ منهم ولا واحد (حياً) – وأما بنو أسرائيل فمشوا علي اليابسة – في وسط البحر – والماء سور لهم عن يمينهم وعن يسارهم» (خر ١٤: ١ – ٢٩) !.

٦) في عهد القُضاة، ترك الرب الأعداء يُضايقون بني إسرائيل سبع سنين متواصلة، بسبب شرورهم وعدم توبتهم! وقد

يئس «جدعون» من إنتظار خلاص الرب لهم. وذات مرة كان هذا الرجل يُخفي محصوله من إستيلاء الأعداء عليه كالمعتاد، وإذا بملاك الرب يظهر له، ويعده بقُرب الخلاص من الأعداء. وأعدّ جدعون الخطة - كأمر السماء - وبدأ الهجوم ليلاً، وفي أول الهزيع الأوسط (منتصف الليل) ساعد الرب في المعركة، وانتصر جدعون في النهاية، بذراع الرب القوية (قض ٧: ١٩ - ٢٥).

٧) ويروي الكتاب أن الرب أمر صموئيل النبي أن يمسح الفتي «داود» المبارك، ليصير ملكاً لبني إسرائيل، بدلاً من شاول العاصي (١ صم ١٠:١) ولم يجلس داود علي كُرسيه فعلاً، إلا بعد ما عاني بشدة من شاول الملك حتي مات! ولم يتذمر داود بل إنتظر الرب، علي مهل، إلي أن جاءت الساعة المحددة من قبل السماء، أي بعد ٣٩ عاماً من رسامته الفعلية!!

٨) وراعوث المؤابية التي صبرت علي حالها، بعد موت زوجها، وإتكلت علي الرب في حل مشكلتها. وبكل إيمان تركت أهلها الوثنيين، ورحلت مع حماتها المؤمنة، من شرق الأردن إلي

بيت لحم، وإنتظرت تدبير اللّه لأحوالها. ووثقت في قدرته، فباركها الرب واختار لها شريكاً صالحاً (بوعز) وأنجبت منه إبناً مباركاً هو «عوبيد»، (جد الملك داود النبي) ومن نسلها جاء يسوع له المجد!

٩) والسيدة حَنة الطيّبة، التي كانت تذهب باستمرار للصلاة في بيت الرب، وكانت ضُرتّها تغيظها وتُعايرها، لعدم إنجاب نسل مثلها. أما هي فلم تتكلم معها، بل ضبطت لسانها عن الشر، وصلّت إلي اللّه، وبكت كثيراً «في بيته» وآمنت بأنه سيُحقق لها مُرادها في الوقت المناسب. وبكل إيمان نذرت بأن تعطي هذا النسل إلي الرب (١ صم ١:١١) فأعطاها الرب «صموئيل» ونذرته للرب منذ طفولته، فصار أعظم أنبياء بني إسرائيل، فما أحلي الصبر، وما أجمل إنتظار الرب!

١٠) ويروي سفر إستير «أن هامان الوزير» قد اغتاظ من مردخاى اليهودي، وطلب من أحشويرش – ملك الفُرس – أن يُبيده وشعبه. وقرر الوزير أيضاً أن يَصلِب مردخاي علي صليب!

ووصلت التجربة إلي ذروتها! ولا مُعين إلا الرب وحده! فصامت الملكة أستير «إبنة عم مردخاي» مع الشعب اليهودي ثلاثة أيام.

فـــأطار الرب النوم من عين الملك، ودبَّر له أن يَطّلع علي سجل تاريخ المملكة، فوقعت عيناه علي حوادث في عهده، ومنها كشف مردخاي لمؤامرة ضده! وأخيراً إنكشف خداع هامان الشرير، فأمر الملك بصلبه علي الصليب الذي أعده لمردخاي (إس ١٠:٧) «ومن حفر حفرة لأخيه وقع فيها» (أم ٢٦:٢٧)!

١١) يروي سـفـر الملوك الأول (١٨: ٤١ – ٤٥) أن «إيليا» النبي بالإيمان أخبر الملك أخاب، بضرورة سقوط المطر - في ذلك اليوم – بعد فترة جفاف دامت ٣,٥ سنة! وصعد رجل الله الي قمة جبل الكَرمل – علي شاطيء البحر الأبيض – ليُصلي إلي الله، ليرسل المطر. وبعد أول صلاة أرسل غلامه ليتطلع نحو السحاب الآتي من الغرب! فنظر الخادم نحو البحر! وعاد ليقول لسيده أنه لم يظهر سحاب بعد!

وظل أيليا يُصلي ويُداوم علي إرسال خادمه ليتطلّع إلي

السحاب. وتكررت المحاولة سبع مرات! وفي المرة الأخيرة عاد ليقول لرجل الله أنه رأي هناك «غيمة صغيرة قدر كف إنسان، صاعدة من البحر» فأدرك النبي أن الرب قد إستجاب له أخيراً. فطلب من غلامه أن يُخبر الملك بأن يُسرع بالنزول من الجبل، لئلا يمنعه المطر!! فما أعظم الإنتظار بصبر وإيمان!

١٢) ويروي نفس السِفر (ص ١٩) أن الملكة الشريرة إيزابل أرادت أن تقتل إيليا النبي، لتنكيله بأنبياء البعل (كهنة أوثانها) فهرب رجل الله إلي بئر سبع، ثم سار جنوباً، وإضطجع ونام، فأيقظه ملاك الرب، وأعطاه كعكة وماء. ثم عاد إليه بطعام آخر، وصام بعد الأكلة الأخيرة، أربعون نهاراً وأربعون ليلة، سار خلالها نحو سيناء، إلي أن وصل إلي جبل موسي، حيث وعده الرب بالظهور له، ليُشجعه في محنته.

ووقف رجل الله علي الجبل ينتظر الرب، وأخيراً سمع صوته الجنون. إذ يقول قول الكتاب «هبت ريح عظيمة وشديدة، وشقّت الجبال وكسرت الصخور، ولم يكن الرب في الريح، وبعد الريح

زلزلة، ولم يكن الرب في الزلزلة، وبعد الزلزلة نار، ولم يكن الرب في النار. وبعد النار صوت منخفض خفيف، فلما سمع إيليا لَّف (غطي) وجهه بردائه، وبدأ الرب يتحدث معه»!

١٣) وفي قصة يونان النبي، نعرف أنه هرب من خدمة الرب (في العراق) ونام في مركب متجه إلي أسبانيا، وعندما أهاج الرب البحر، أيقظ البحارة رجل الله، ليصرخ إلي إلهه، ووقعت القرعة عليه، فإعترف بأنه هو سبب هيجان البحر عليهم. وبدلاً من أن يصحح موقفه، ويذهب لخدمته، طلب منهم أن يُلقُّوه في البحر!

ولكن الرب المُحب، لا يتخلَّي سريعاً عن خُدامه، رغم ضعفاتهم وسقطاتهم. ومن ثم فقد أعدَّ حُوتاً ضخماً إبتلع يونان، بدلاً أن يهوي في جوف البحر المتوسط!

وظل النبي يصرخ بدموع، ويُصلي بإيمان، وينذر النذور – وهو في جوع – ثلاثة أيام – حتي إستجاب له الرب. وفي النهاية أمر الحوت بطرده من جوفه إلي شاطيء البحر فعاد إلي خدمته بأكثر خوف، وأسرع بالمُناداة بالتوبة، أو خَراب نينوي!

١٤) ونقرأ في سِفر دانيال، عن الثلاث الفتية القديسين الذين لم يسجدوا لتمثال الذهب (الوثن) الذي نصّبه الملك نبوخذ نصر في بابل، وغضب منهم الملك بوشاية، وقرر إلقائهم في أتون النار، بعدما أمر بأن يُحمي الأتون سبعة أضعاف، وأن يوثق الشبان الثلاثة المُباركين، قبل إلقائهم في النيران الشديدة.

وفي ساعة الصفر لم يهتز الفتية القديسين، من هذا المنظر المُرهب، لاسيما بعدما شاهدوا جلاّديهم يحترقون من مُجرد الإقتراب من الأتون، ولكنهم تسلّحوا بالإيمان، وتقدّموا للنيران؛ وكان الله معهم، فلم تحترق سوي قيودهم !

ورآهم الملك يتمشّون في برد وسلام – مع ابن الله – فأمر بإخراجهم وأعلن إعترافه بإلههم. وأخيراً إنتقم من مبغضيهم، ورفع الفتية القديسين إلي منزلة رفيعة في الدولة، وكذلك تعرّض الشاب دانيال الي تجربة صعبة، بلغت ذروتها ، عندما أمر الملك بإلقائه في جب الأسود، ولكن الرب تدّخل في اللحظة الأخيرة، ومنعها من أن تضره بشيء.ولابُد أن يأتي الرب للمعونة، ولو في الهزيع الأخير، فلنصبّر وللننتظر ولنشكر.

ثانياً: أمثلة من العهد الجديد

١) أرسل الرب الملاك غبريال الي زكريا الكاهن وهو يصلي في الهيكل، وقال له: «لا تخــف يا زكريا لأن طلبتك قد سُمِعَت» (لو ١:١٣). وهو ما لم يتوقعه، في ذلك الوقت بالذات، حيث مرّت عشرات السنوات، علي إستجابة الصلاة. فقد كان يطلب في شبابه - مع زوجته أليصابات - لكي يرزُقه بنسل يُقرّ به عينه، ولم يفعل في حينه، وإنما حفظ الرب الطلب، إلي وقت مُناسب! ولم يُصدق المُفاجأة السارة، التي أعلنت تحقُّق الأمل، بعد طول إنتظار. ومرت أشهر الحَمْل، وعند ولادة يوحنا المعمدان نطق أبوه، بعد صمت، وقدّم الشكر والحمد لله.

٢) وبعد تلك الزيارة، زفّ ملاك الرب بُشري ميلاد مُخلِّص العالم من البتول مريم، تحقيقاً للوعد الإلهي لآدم (تك ٣:١٥) وإتماماً لنبوءة أشعياء النبي (إش ٧:١٤) قبل ميلاد المسيح بسبعمائة عام! وبعد آلاف السنوات من وعده لآدم.

ولما ظهرت علامة الحَبل المُقدَّس علي أم النور، شكَّ يوسف النجار في الأمر (وله حق) وفكَّر البَار في تخليتها سراً (أي عدم تنفيذ حُكم الشريعة بالرجم)، أما الطوباوية مريم فصبَّرت وإنتظرت تدخُّل الرب، فلم تكن لتستطيع أن تُثبِت ما قاله الملاك! وظل القديس يوسف في حيرة شديدة، إلي أن جاء ملاك الرب أخيراً، وأكد له حقيقة الحَبل المقدس، ومجيء مخلِّص البشر إلي العالم، فلنصبر وننتظر لكي يُدافع الرب عنا، ونحن صامتون» (خر ١٤:١٤) ولابد أن يُظهِر الرب الحقيقة ولو بعد حين!

٣) وسجَّل القديس لوقا أيضاً أن الرب يسوع قد بدأ خدمته العادية في الصباح الباكر لكى يتلقي النفوس المُشتاقة لسماع كلمات النعمة من فمه الطاهر، علي شاطيء بُحيرة جنيسارت (طبرية): .وكان الجَمْع يزدحم عليه ليسمع كلمة الحياة. فدخل إحدي السفينتين التي كانت لسبمعان (بطرس) وسأله «الرب» أن يبتعد قليلاً عن البر. ثم جلس يُعلِّم الجموع من السفينة، «إلي مُنتصف النهار». ولما فرغ من الكلام قال لسمعان:« إبعد إلي العُمق (مع زملائك) وإلقوا شباككم للصيد! فأجاب سمعان وقال له: «يا مُعلم قد تعَّبنا الليل كله، ولم نأخذ شيئاً، ولكن علي كلمتك

ألقي الشبكة! ولما فعلوا ذلك آمسكوا سمكاً كثيراً جداً» (لو ٥: ١ - ٦)

٤) وفي مرة أخري، أراد الرب أن يمتحن تلاميذه بتجربة بسيطة. فبعدما وعظ الشعب، وبدأ النهار يميل، طلب منه الرُسل أن يصرف الجموع. إلا أنه طلب منهم أن يعطوهم ليأكلوا! فأعلنوا للمُخلص أنه ليس لديهم شيء سوي خمسة أرغفة وسمكتين، فأخذها الرب وباركها ، وأشبع الشعب؛ ثم أمر تلاميذه أن يدخلوا السفينة ويسبقوه إلي الشاطيء الآخر من البحيرة.

وامتحن الرب تلاميذه مرة أخري، حينما تباطأ في المجيء إليهم، بعدما هاج البحر عليهم. ويذكر البشيرون أنه بعدما صرف يسوع الجموع «صعد الي الجبل مُنفرداً ليُصلي ولما صار المساء كان (لا يزال) هناك وحده، وأما السفينة فكانت قد صارت في وسط البحر، مُعذّبة من الماء (الأمواج) لأن الريح كانت مُضادة». وكان الرب يراهم بالطبع، وقد تعمّد التأخير في إنقاذهم، حتي مر الهزيع الأول والثاني والثالث أيضاً!

ويذكر الوحي المُقدس أنه: «في الهزيع الرابع من الليل (حيث الظلام الشديد) مضي إليهم يسوع ماشياً علي البحر! فلما

أبصروه إضطربوا قائلين: إنه خيال (شبح) ومن الخوف صرخوا، فللوقت كلَّمهم يسوع قائلاً:« تشجعُّوا أنا هو لا تخافوا... ولما دخل السفينة سكتت الريح»! (مت ١٤، مر ٦). وبذلك تحقّق ما قاله الرب، إنه في ساعة لا تظُنون، يأتي إبن الانسان» (لو ١٢: ٤٠).

نماذج اخري:

وقد طبَّق السيد المسيح، مبدأ المجيء «في الهزيع الأخير» في معاملاته مع مرضي الروح والجسد، وفي تعاليمه بأمثال أيضاً.
وفيما يلي أمثلة لتأكيد هذه الحقيقة:

١) وصلت رسالة شفهية للسيد المسيح، من مريم ومرثا تُعلنان مرض لعازر (في صيغة بليغة) «يا سيد، هوذا الذي تحبه مريض»!! وكان يمكن للسيد المسيح أن يشفيه بقوة سلطانه، في مكان وجوده، فلم يفعل! ولم يذهب إليه حتي مات فعلاً، ومرّت أربعة أيام أخري علي دفنه حتي أنتن، ولكن الرب جاء أخيراً، وذهب الي قبر لعازر، وأقامه من الموت بمعجزة باهرة (يو ١١: ٩). وقد رأي الرب أن يصنع تلك المعجزة - قبل صلبه - ليُثبِت لتلاميذه قُدرته الإلهية، قبل إقدامه علي حمل الصليب، وموته عن العالم الخاطيء.

٢) وعندما تقابل الرب مع المولود أعمي، لم يهبه نعمة البصر فوراً، بل أمتحن إيمانه وطاعته، بأن طلي عينيه بالطين، وأمره أن يذهب هكذا، إلي بركة سلوام، لكي يغتسل فيها. ولما خضع الأعمي وأطاع نال نعمة البصر، بعد طول صبر (يو ٩: ٦ – ٧).

٣) وحينما جاءت إمرأة كنعانية تصرخ من بعيد، وتبكي بشدة، مستدرة عطف المسيح، وطالبة منه أن يشفي إبنتها المجنونة جدا. لكن المخلص صمت ولم يجبها لطلبها ثم طلب التلاميذ منه أن يطردها، ولكنها إقتربت أكثر، وتمسكت به في ثقة وإيمان بقدرته. فأعلمها المسيح أنه لم يأتِ إلا لبني إسرائيل. وكان عليها أن تنصرف بعد هذا الرد السلبي. ولكنها أحست بحبه الحقيقي (رغم تظاهره بعدم الإستجابة) وظلت تلح في الطلب بدموع، ولكنه رفع من درجة صعوبة الإمتحان، معلناً رفضه، لإعطاء النعمة لغير مستحقيها، «لأنه ليس حسناً أن يؤخذ خبز البنين ويطرح للكلاب»! وكان عليها أن تنصرف بلا هدف.

ولكن المرأة إزدادت إتضاعاً، ونطقت بكلمات جميلة – في ساعة التجربة – كشفت بها عما بداخل قلبها من محبة وايمان بسلطانه فأعلن الرب مقدار إيمانها، ومحبتها وإتضاعها، ولجاجتها

في الصلاة،وحكمتها، وصبرها إلي النهاية، حيثما قال: «يا إمرأة عظيم إيمانكِ، ليكن لكِ كما تريدين. فشفيت إبنتها من تلك الساعة». (مت ١٥: ٢١ – ٢٨)، وحقاً صبرت ونالت في آخر المطاف، وانطبق عليها المثل الشائع «في التأني السلامة، وفي العجلة الندامة».

٤) ويروي البشير «لوقا» أن الرب إنتظر علي إحدي الأرامل، حتي مات إبنها الوحيد، وفي الطريق إلي المقابر ذهب إليها المُخلص، وأوقف الموكب الحزين، وطلب منها عدم البكاء (وكيف لا تبكي في هذا الموقف الصعب)؟!

وهدأت ونظرت في دهشة، وإذا بالسيد يقيم لها إبنها من الموت، ويدفعه إليها قبل إدخاله القبر، مما أعطي لهذا العمل أهمية كبري في نفوس الحاضرين (لو ٧: ١٢ – ١٤).

٥) والمرأة التي خارت قواها من مرض مُزمن، دام ١٨ عاماً، وصفها القديس لوقا الطبيب بأنها «كانت مُنحنية الظهر ولم تقدر أن تنتصب» وكانت صابرة علي حالها وشاكرة علي الدوام، فدعاها يسوع، وأعطاها قوة الجسد، ووضع يده الطاهرة عليها، فاستقام عمودها الفقري، ونالت سؤل قلبها بعد سنوات طويلة من المعاناة (لو ١٣: ١ ـ ١٣).

٦) والأكثر صبراً منها، ذلك المفلوج الذي ظل ٣٨ عاماً يُحاول أن يجد إنساناً يتعطف عليه ويُلقيه في البركة، فور نزول الملاك إليها! وبعد انتظار وصبر، جاءه السيد المسيح، في وقت لا يتوقعه، وشفاه من دائه، وطلب منه أن يحمل فراشه، ويمضي إلي بيته فرحاً. (يو ٥: ١ ـ ٩).

٧) والمرأة التي ظلت تنزف دماً – طوال إثنتيّ عشرة سنة – أنفقت خلالها كل أموالها، علي الأطباء والدواء، ولم يفعلوا شيئاً لهذا الداء. ولكنها آمنت بالرب يسوع، ووثقت في قدرته علي شفائها. فنجاءت من ورائه، ولمست هُدب ثوبه. وفي الحال توقَّف النزيف، لأن قوة عظيمة خرجت من المُخلِّص، ومنحتها الشفاء الكامل، بعد طول إنتظار (لو ٨: ٤٣ – ٤٨).

٨) وعندما قدَّم الكتبة والفريسيون إمرأة زانية – للسيد المسيح – ليُبدي رأيه في رجمها (حسب شريعة موسي) من عدمه! لم يشأ المُخلِّص أن يحكم عليها فوراً، بل إنحني علي الأرض، وبدأ يكتب علي التُّراب – لكل واحد – خطيته المَحبوبة (المُكررة) وخاطب كل المُستعدين لرجم المرأة قائلاً: «من منكم بلا خطية فليرمها أولاً بحجر»! وظل يكتب علي الأرض خطايا الباقين بالتتابع!

وقد إستغرق ذلك وقتاً آخر، لأنهم كانوا كثيرين، وكانت ضمائرهم تُبكتهم، بعدما كشفهم الرب « وأعلن لهم أنه يعرف خطاياهم (ويسترهم بالطبع). وفي خجل شديد، مضوا الواحد تلو الآخر، مبتدئين من الشيوخ إلي الآخرين (الشباب) وبقي يسوع وحده، وجهاً لوجه مع المرأة الخاطئة! وإذا كان الرب قد وبخ هؤلاء، فماذا يفعل مع تلك النفس الشريرة؟ إنها لحظات صعبة،!!

ودق أخيراً قلبها بشدة إنتظاراً لحُكم الله، في نهاية الأمر! وكانت بالطبع تتوقع الحكم عليها بالرجم! إلا أن ظنونها قد خابت، إذ لمست في قلبه حناناً، يفوق حنان البشر. ونطق يسوع بكلمات ليِّنة، تُدل علي محبته التي بلا حدود لكل الخُطاة المساكين، وأعطاها فُرصة للتوبة ومُهلة جديدة لحياة مُقدسة (يو ٨: ١ - ١١). ولا تعود إلي السير في طريق تلك الخطيئة المُميتة للروح والجسد. فالآن زمن الرحمة، وبعد ذلك يأتي زمن الدينونة الرهيبة. والآن الباب مفتوح، والمسيح يمد ذراعيه للكل وقد يأتي الموت فجأة، ويُغلقَ علي الجثة باب القبر!

٩) وتُسجل البشائر أن التلاميذ هربوا ليلة القبض علي المُخلّص، وإختفي مُعظمهم بعد الآمه وصلبه ودفنه!

وكانوا خائفين أن يحل بهم ما حل بسيدهم (وقد نسوا كل ما حدَّثهم به، ووعوده بالمجيء إليهم)! وفي غمرة الحزن والقلق، دخل الرب - ليلاً - والأبواب مُغلقة وأعطاهم السلام، وأراهم يديه وجنبه، ففرحوا به أخيراً، بعدما تعبوا من هول الأحداث الطويلة التي مرت بهم» (يو ٢٠:٢٠).

١٠) كما يذكر لوقا الإنجيلي، أن أثنين من تلاميذ المسيح (ربما كان هو أحدهم، والثاني كلْيوبَّاس) كانا يسيران في اتجاه قرية عمواس (غرب القُدس) في صباح القيامة.

وكانا يفكران فيما سمعاه عن قيامة رب المجد، وكانا «يُشككان فيها»، فظهر لهما السيد المسيح ووبَّخهما بشدة علي عدم تصديقهما لقيامته المجيدة، كما قال لرُسله من قبل. ثم شرح لهما حقيقة ما حدث علي ضوء النبوات القديمة (والتي بلغت نحو ٣٠٠ آية وشاهد).

وبعدما وصلوا إلي البيت، في القرية، قَبِلَ دعوتهما بالدخول، وفي النهاية، أخذ خبزاً وبارك وكسَّر، وناولهما بطريقته المعروفة، فأنفتحت أعينهما، وعرفاه أنه هو المسيح! فأختفي عنهما» (لو ٢٤: ١٣ - ٣٥).

١١) ويروي سِفر أعمال الرسل، أن هيرودس قبض علي القديس بطرس «للمرة الثانية» ووضعه في السجن الداخلي مُقيداً بالسلاسل بين أربعة أرابع من العسكر (حراسة مُشددة) بهدف أن يقتله، بعد عيد الفصح مُباشرة. وكانت الكنيسة تُصلي من أجله بلجاجة! ومرت أيام علي حبسه واقتربت ساعة المُحاكمة! وفي الليلة عينها كان القديس بطرس نائماً - في سلام القلب - وجاء اليه ملاك الرب، وأيقظه قائلاً: «قم عاجلاً» فسقطت السلسلتان. وقام ولبس نعله، ورداءه، وتبعه، وجازا موضع الحرس الأول، والثاني، وأتيا إلي باب السجن، فإنفتح لهما! وكان الرسول يظن أنه يحلم.

وأخيراً ذهب إلي الإخوة بعدما تأكد أن الرب أرسل ملاكه وأخرجه من سجنه، قبل محاكمته مباشرة، وإذ طلبه هيرودس «ولم يجده، لأن الرب أنقذه **في آخر لحظة**» (أع ١٢:١ ـ ١٩).

١٢) وفي الرحلة البحرية الأخيرة للرسول بولس - إلي إيطاليا - تعرَّضت السفينة الي ريح شديدة، وقاربت علي الغرق،

ولكن الركاب سلّموا أمرهم لله، بناءً علي نصيحة القديس بولس، فأنقذهم اللّه في النهاية، بعد صراع طويلٍ لعدة أيام في البحر، فقد إضطر الرُكاب أن يُلقوا بحمولة المركب من السلع، والأثاث والطعام أيضاً، ثم صارعوا الأمواج العاتية!

ويقول الرسول لوقا، كشاهد عيان، أن الشمس لم تُشرق عليهم أياماً كثيرة، وأشتدّ نوء البحر، وخاف الرجال وصاموا كثيراً، ولكن الرسول طمأنهم بأن ملاك الرب أخبَره بأنه لن يهلك أحد منهم، لأجل خاطره!

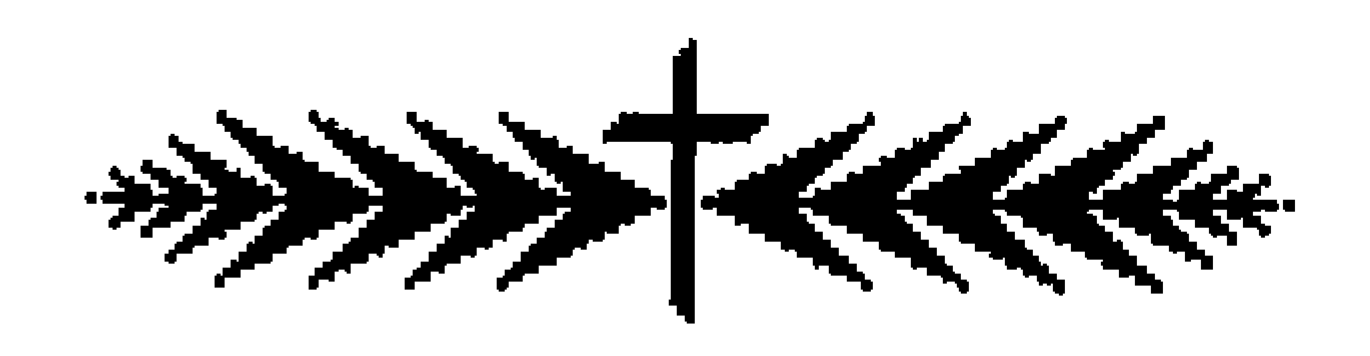
ويضيف البشير قائلاً: «ولما كانت الليلة الرابعة عشرة، ونحن نُحمل تائهين في بحر أرديا، ظن النُوتية أنهم قد إقتربوا الي البَر ولكن قاسوا، فوجدوا خمسة عشرة قامة (باقية علي الشاطيء). وإذا كانوا يخافون أن يقعوا عليٰ مواقع حصينة (شاطيء صخري يُحطم المركب) رموا أربع مراسٍ (= هلب)، وكانوا يطلبون أن يصير النهار، ونوي البحارة أن يهربوا (وحدهم) وأنزلوا القارب فعلاً، ولكن العسكر منعوهم. ثم طرحوا ما تبقي من قمح في البحر» (في آخر محاولة للنجاة)!

ولكن المأساة قد وصلت الي ذروتها، مع ظهور أول ضوء النهار، فقد إنكسرت السفينة، ورغب الجنود في قتل الأسري ولكن قائدهم منعهم من ذلك، وأمر القادرين منهم علي السباحة، أن يلقُّوا بأنفسهم في المياه، فيسبحوا إلي البّر. وتعلّق الباقون علي ألواح، وأجزاء السفينة، ونجا الجميع في آخر المطاف. ونزلوا علي جزيرة مالطه. وهكذا جاء الرب - في الهزيع الأخير - وأنقذهم من الخطر المُحقق، حسب وعده الصادق (أع ٢٧:٤٤).

وقال الشاعر:

ضاقت فلما استحكَمت حلقاتُّها

فُرِجُت وكنَتْ أظنُّها لا تُفرجُ



ونفس المبدأ نجده - أيضاً - واضحاً في أمثال السيد المسيح

ومنها علي سبيل المثال:

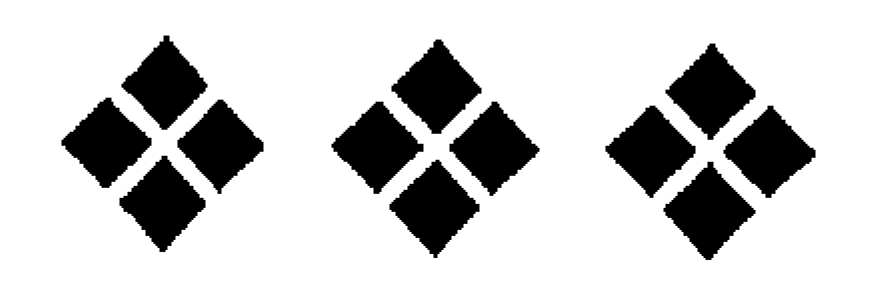
١) **في مثل «السامري الصالح»** (لــو ١٠: ٢٩ - ٣٧) نــري المسافـر وحـده، قـد سـقط في أيدي اللصـوص (= الشيـاطين) فعرّوه وجرحوه، وسلبوا ما معه، ومضوا وتركوه علي حافة الموت ومرّ عليه الكاهن فلم يساعده، ثم عبر بجواره «لاوي» وتركه كما هو، ولم يَرِق قلباهما له (في مُخالفة لوصيتي المحبة والرحمة).

وأخيـراً جـاء اليـه رجل غـريب الجنس (سـامـري مكروه من اليهود)! وفي حُبٍ عمليٍّ ضحيٍّ بوقته وجهده. وفي عدم خوف، من اللصـوص الكثيرين (في هذا المكان) ضمّد جراحاته، وحمَلَه علي دابتـه، إلي مكان العـلاج! ودفع من جـيـبـه مُقـدم تكاليف العلاج، ووعد بتسديد باقي المصاريف!

ومـا من شك، فـإن الجـريح لم يظن مُطلقـاً أن هذا الرجل -

وهو عدوه - يمكن أن يأتي - في تلك الساعه المساحرة - ويُقدم له تلك المساعدة العملية، وهو يرمز الي السيد المسيح الحنون الذي حمل خطايا البشر علي عود الصليب وخلصهم من الموت المحتوم، وأعطاهم الحياة الأبدية، بعدما سدَّد الدين عنهم!

٢) **وفي مثل «الغنيْ ولعازر»** (لو ١٦: ١٩ - ٣١) يكشف لنا الرب عن حقيقة هامة، وهي أن المسكين الصابر علي بلواه، الشاكر دائماً للّه، قد حملَّت الملائكة روحه إلي الفردوس، حيث تعزَّي وفرح، معْ الآباء القديسين، بينما سيظل الغني الأناني يتعذَّب - الي يوم الدين - حيث ينال العقاب الأشد، لعدم رحمته بالمسكين، الذي تحمَّل آلام المرض والجوع والعُري، بلا تذمُّر ولا ضجر، فإنطبق عليه القول الإلهي: «إن الذي يصبر إلي المُنتهي فهذا يُخلّص» (مر ١٣:١٣).



ثالثا: أمثلة من سير القديسين

١) كـان المسيحيون في العصـور الأولي، يتعرضون إلي سلسلة من التعذيب الشديد. وتسموا بالمعترفين» (=أي الذين تحملوا الآلام، بدون قتل) وكان الرب يظهر لهم، في أماكن حبسهم، ويشفيهم من جراحهم، بعد كل مرة يتعذبون فيها، من الأشرار. كما كان يرسل لهم الملائكة في سجنهم، مشجعاً إياهم، للإستمرار في تحمل الآلام، واعداً إياهم بقرب انطلاقهم، إلي الفردوس السعيد، والحصول علي أكاليل الغلبة والإنتصار. وقد قرأنا عن هذه الظهورات، في سير الشهداء العظام، الذين حملوا الصليب - بفرح عجيب - أمثال «مار مرقس، ومارمينا، وأباهور، ودميانة، ويوليانة، وبربارة، وأوجيني». وغيرهم عبر التاريخ المسيحي الطويل، والي مجيء المسيح «الثاني»!

٢) ومن اجمل امثلة الصبر علي التجارب «القديس يعقوب المقطع»، الذي ضربه ملك الفرس ضرباً مبرحاً، ثم أمر بأن تقطع من جسمه

أجزاء – علي دفعات كثيرة – إمعاناً في تعذيبه، أطول فترة ممكنة، وهكذا قطعوا أصابع يديه ورجليه وفخذيه، وساعديه بالتتابع! وكان يُصلي قائلاً: «إرحمني يا الله كعظيم رحمتك». كلما قطعوا عضواً من جسده المقدس. ولم يبقَ من جسده إلا رأسه وصدره ووسطه. ولما أحس بدُنو أجله، ومجيء ساعته للإنطلاق إلي الدار الأبدية السعيدة، صلّي من أجل العالم ومن أجل الشعب ومن أجل الذين عذَّبوه. وفي إتضاع اعتذر للرب عن عدم إمكانه الوقوف أمامه. وقال: «يارب، ليس لي رجلان لكي أقف أمامك، ولا يدان أبسطهما قدامك! وهوذا أعضائي مطروحة حولي، فإقبل نفسي إليك»وأخيراً ظهر له السيد المسيح، وقوّاه وعرفه بقُرب رحيله من العالم الفاني. فابتجهت نفسه جداً!!

وأسرع أحد الجُند بضرب رأسه بحد السيف، وأسلَم الروح في يديّ الرب، ونال إكليل الصابرين المُجاهدين، صلاته تكون معنا، آمين (السنكسار ٢٧ هاتور).

٣) وقد ورد في سيرة القديس العظيم «مكاريوس الكبير» أنه

كان ذات مرة – في جوف الصحراء – وقد سار مدة طويلة في إتجاه ديره، حتي تعب جداً، ولم يقترب من ديره! وأخيراً صرخ إلي الرب، بأنه لم يعد له مزيد من القوة علي السير، فإذا به يجد نفسه أمام ديره!!

رابعاً: أمثلة من الحياة المعاصرة

في حياة المؤمنين اختبارات كثيرة عن بركات تأخُّر اللّه عن الاستجابة للصلاة ، والهدف الإلهي الذي يظهر أخيراً، عندما يستجيب الرب في وقت مناسب، أو في آخر لحظة يتوقعُها الإنسان لأنه «يأتي في الهزيع الأخير» أحياناً كثيرة، وليتنا لا نفقد الرجاء، ونثق بالرب ووعوده، التي تأتي في حينها الحسن «في ملء الزمان» (أف ١:١٠) ومن تلك الاختبارات القصص الواقعية التالية، علي سبيل المثال:

١ – منذ سنوات قليلة، ذهب أحد الإخوة للإشتراك في

نهضة روحية بأسيوط، وفي آخر أيام النهضة أعطته سيدة مؤمنة مظروفاً به مبلغ من المال، لتوصيله إلي عنوان مُعين بحي الزيتون بالقاهرة، وقد أعلمته أنه بينما كانت تُصلي - في بيتها - وجدت أمامها ورقة مكتوباً عليها عنواناً مُعيناً، لسرعة إرسال جزء من عشورها، لتلك السيدة، دون معرفة سابقة بها!

ولما وصل الخادم إلي القاهرة، استقل سيارة أجرة ليلاً، قاصداً توصيل الأمانة، الي العنوان المدون علي المظروف. وفي إحدي الشوارع انفجر إطار السيارة، وأثناء قيام السائق باستبداله، توقف الخادم أسفل نافذة في الطابق الأول، من منزل قديم، وسمع صوت استغاثة «سيدة» إلي الرب يسوع، بأن يأتي بطعام لأطفالها الجوعي، قبل أن يناموا! فرقّ قلب الخادم، وقرع علي بابها، وأعطاها المظروف الذي معه، وكانت المُفاجأة، بعد أن سألها عن إسمها وعنوانها!

حيث إتضح أنه نفس الإسم الذي أظهره الرب للسيدة المؤمنة في أسيوط. وفي دهشة من أمره شكر الرب، الذي أتي إلي هذه المرأة - بهذه الطريقة المُعجزية - في الهزيع الأخير من الليل!

٢) وفي عهد القديس البابا كيرلس السادس، كانت حركة التعميرّ، في إحدي الأديرة، قائمة علي قدم وساق. واحتاج هذا الدير إلي مزيد من حديد التسليحُ، وفي نفس الوقت صدر تصريح حكومي بتسليم الدير كمية من أسياخ الحديد بالسعر الرسمي، ولم يكن بالدير نقوداً لدفع ثمن «البون» الحكومي الرخيص (٥٠٠ جنيه)!

وطلب أسقف الدير، أن يتوّجه أحد الآباء الرّهبان الي مُستودع الحديد لاستلام الكمّية التي تم التصريح بها، والرب يُدبر المبلغ! وبكل طاعة وإيمان، وقف في الطابور أمام الخزينة، ولم يكن معه الخمسمائة جنيه المطلوبة!

وظل يُصلي ليحلّ الرب الإشكال! وهكذا تقدّم الطابور، إلي أن أصبح أمامه فرد واحد فقط! وفي تلك اللحظة، تذّكر الشخص الذي كان أمامه، أنه كان قد نذر مبلغاً من المال، وطلب من الأب الراهب أن يسلمه للدير، وإن الرب قد نبهه الي ذلك الأمر، في هذا الوقت بالذات! وتقدّم الأب الراهب إلي الخزينة، وقدّم البون،

وأعلمه الصرّاف أن المبلغ قد زاد، فعدّ ما قدمه له الأخ، الذي كان أمامه في الطابور، وإذا به نفس المبلغ المطلوب (٧٠٠ جنيه) الذي أرسله الرب في آخر لحظه ! وليت كل مؤمن يُصدّق أن الرب يأ تي ولو في الهزيع الأخير من الليل .

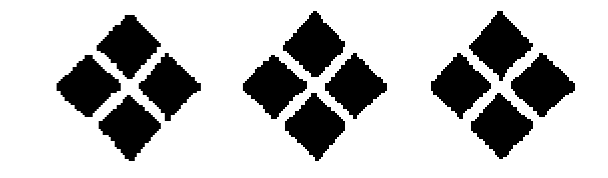
٣ـ وقد سمعت عن رجل الله البار القمص بيشوي كامل، أنه علم بقرار شاب مسيحي بالاسم ؛ أنه قرّر ترْك الإيمان المسيحي ، والتخلي عن زوجته، التي كانت تُضايقه في حياته العائلية. وأخذ الأب الكاهن يُقنعه بالعدول عن رأيه، ولكنه أصرّ علي تنفيذ خطته الشريرة، في صباح اليوم التالي!

فماذا يفعل رجل اللّه؟! لقد أخذه معه، ودخل الكنيسة وطلب منه أن يُصلي معه ليلاً، مُبتدئاً بالتسبحة ثم القُداس.

وبعد أن تناول الشاب من السّر الأقدس، جاءه من يُخبره بأن زوجته قد ماتت باكراً. وهكذا حلّ اللّه المشكلة في الهزيع الأخير من الليل.

٤) وقد روي واعظ إنجليزي – أنه في إحدي المرات – سافر

بالقطار إلي إحدي المُدن البريطانية البعيدة، لكي يُقدم خدمته هناك، «ففتش في جيوب سُترَته عن تذكرة السفر، فلم يجد لها أثر. وماذا يفعل وليس معه نقود أخري؟! وبدأ مفتش التذاكر في الإقتراب من الديوان، الذي يجلس فيه، فصلي الخادم، وطلب تدخُّل الرب في هذا الوقت الصَعب. ولاحظ الشخص الجالس مُقابله انه في حيرةٍ من أمره! فسأله عما به. فقال الخادم «إن تذكرته سقطت منه» وإن الرب لابُد أن يُدَّبر الأمر»، فقال له الجالس معه «نعم»! وأخيراً جاء مفتش القطار، وإنحني بأدب لهما، ولم يطلب الإطلاع علي تذكرتيهما، فسأل الخادم عن سبب ذلك!! فأخبره بأنه هو «مُدير عام السكة الحديد»! حقاً إن الرب يسمح بالتجربة - لإمتحان المؤمن - ثم يضع معها المُنفذ، في نهاية الأمر» (أ كو ١٠:١٣) ويكفي ما سبق من أمثلة واقعية.



كلمة اخيرة

نهمس بها في أذن كل المُتسرّعين، في نوال مطالبهم، وإلى

اليائسين من سرعة الاستجابة. نقول إلي هؤلاء جميعاً: «إنتظروا واصبروا وصلُّوا واشكروا وصوموا وتصدَّقوا» وحتماً سيأتي الفرج ويحلّ الفَرح في القلب، عندما تنظر السماء في الطلب، وتُحقّق الآمال، (إن توافقت مع المشيئة الإلهية الصالحة). في الوقت المناسب تماماً، حتي ولو جاءت الإستجابة في الهزيع الآخير من الليل.

وحينئذ سندرك جيداً أن ربنا موجود، وأنه يسمع الصلاة، وأنه لا يُهملنا ولا يتركنا ولا ينسانا، ولن ينسانا أبداً، وأنه يُعطي إستجابة للطلب في «حينه الحسن» كما يؤكده كل المؤمنين الصابرين المُنتظرين تحقيق الوعد الإلهي.

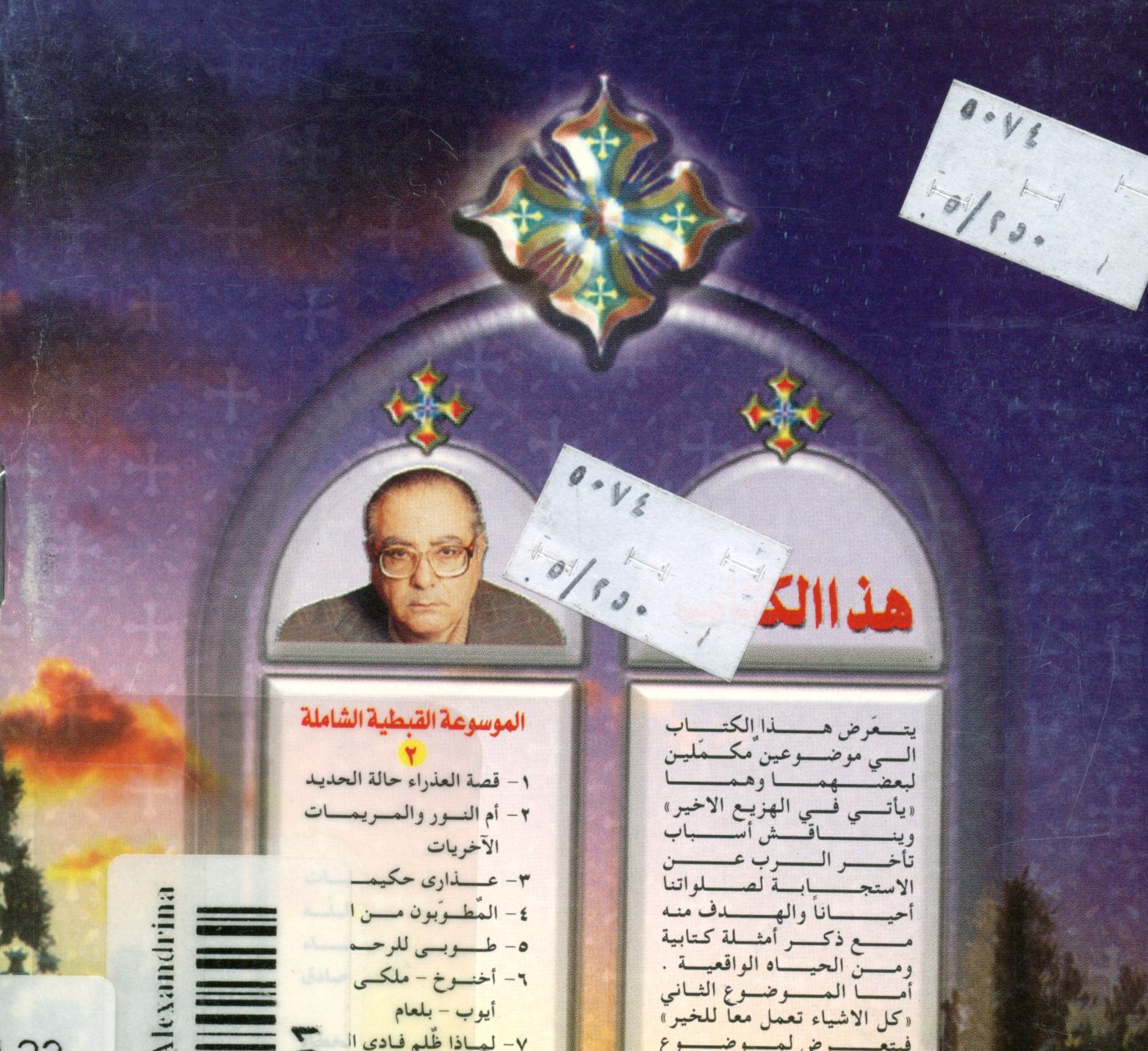
ولله الحمد والشكر من الآن والي الأبد .آمين.

\+ + +

تم بحمد الله

الفهرس

	الصفحة



يتعرض هذا الكتاب الي موضوعين مكملين لبعضهما وهما «يأتي في الهزيع الاخير» ويناقش أسباب تأخر الرب عن الاستجابة لصلواتنا أحياناً والهدف منه مع ذكر أمثلة كتابية ومن الحياه الواقعية . أما الموضوع الثاني «كل الاشياء تعمل معا للخير» فيتعرض لموضوع عدم إستجابة الرب لصلواتنا أو يحققها لنا في وقت معين مع تقديم أمثلة كتابية وواقعية تترجم أهمية الايمان بأن كل الامور والمواقف تصير لخير المؤمن الذي يسلم إرادته لله دائما وينتظر بصبر وشكر تدبير الله الصالح في ملء الزمان.

الموسوعة القبطية الشاملة

٢

١- قصة العذراء حالة الحديد
٢- أم النور والمريمات الآخريات
٣- عذارى حكيم...
٤- المطوبون من ال...
٥- طوبى للرحم...
٦- أخنوخ - ملكي ...
أيوب - بلعام
٧- لماذا ظلم فادى ال...
ولم يفتح فاه
٨- ٣٥ سؤال وج...
(عن احداث عيدى الميلاد و...
٩- الشف...
١٠- المفهوم الارثوذك...
للتجديد
١١- إنجيل برناب...
منظور مسيحى
١٢- كل الأشياء تع...
معاً للخير

مكتبة المحبة ٣٠ شارع شبرا - القاهرة - ت : ٥٧٨٢٩٣٢ - ٥٧٥٩٢٤٤ فاكس : ٧٧٧٤٤٨